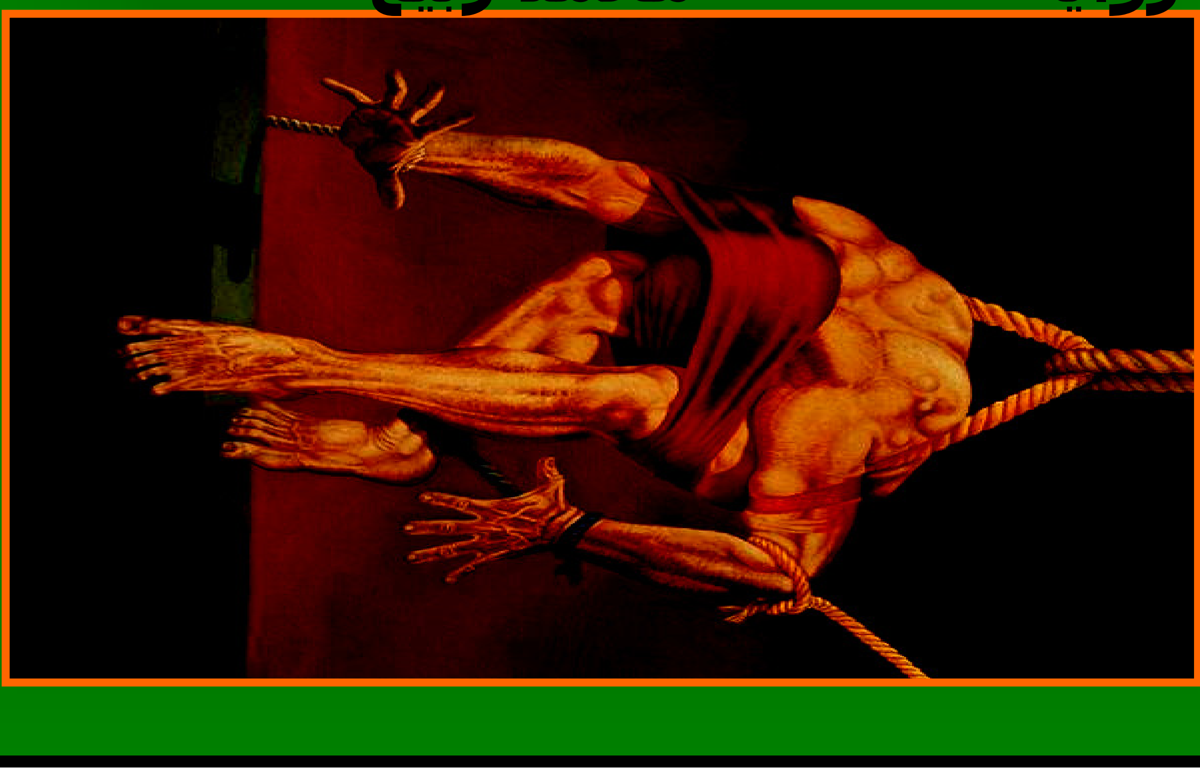
عموم الليالى التى..

رواية   محمد ربيع



عموم الليالى التى ..
رواية

يقول المخرج
أنها أشياء تحدث
لكن الرب بعثنا
لندقها مثل الوشم الأخضر
فى ستائر عقولكم
بالتصوير
البطئ.

ـ أعدكم بشرفى:
قريبا جدا
سوف ينسانا الرب .. مؤمن سمير

ـ لأنى لا استطيع ولن اصدق انك يمكنك أن
تفعل أى شئ مهما كان دون جمهور.

.. جونتر جراس .

من وأنا صغير ، لست صغيرا جدا ، ذلك الصغر الذى قد تكون فيه مشاكلى غير مهمة ويكون توقع رحيلها بعد حين لن يطول ، أمرا واردا جدا ، ولكنه ذلك الصغر الذى يكون فيه قد مر وقتا كافيا لكى أُدرك ماذا تعنى كلمة مشكلة . وهذه المشكلة تتبعنى وتتعبنى وايضا تقلقنى وتفسد أوقات فراغى الىّ ، تحيل ساعة فرارى من البشر الى نفسى لساعة فرار اليها.

أنها مشكلة استعصت ،انتشرت بى، توغلت ، فحدث اقتحام لم أملك له دفعا.لقد تجاوزت كونها مشكلة ، ففيما يبدو أنها تمكنت منى تماما .
هذا.. وبعد ، هل أستسلم وأخفض يدى بالسلاح وأكف عن الدفاع عنى ، تاركا لها زمامى ، مسلما لها قيادى لتسحبنى من حبل روحى الى حيث يكون هلاكى .
أأدعها ببساطة تجرجرنى ورائها وتفقدنى توازنى وأنا اقف امامها عاجزا ، مدلدل الأذنين ، مرخى الذراعين ، لاينقصنى الا أن افتح ساقاى فتخترقنى. يا سلام وما نفعى حين ذاك ، وأين جدواى وضرورتى فى هذه الدنيا وكيف اواجهنى بعد ذلك ، بل وكيف أقف أمام اولئك الناس أعظهم وأتلقى أعترافاتهم وأنقل لهم الثقة وأعطيهم إيمانا وشجاعة يحتاجونها لمواجهة الشياطين، وكيف ياخذون عنى الصبر الازم للوقوف فى وجه هذه الايام السوداء. أن ما اطلقه فيهم ، احتاجه أنا قبلهم لصراعى القديم ، المستمر مع مشكلتى ، فأنا لن اهرب منها ، لن اتراجع أمامها لأعطيها فرصة أن تزنقنى فى الحائط وتجهز علىّ لن اعطيها ظهرى واجعلها تهزمنى : والمسيح الحى ما هاسيبها تغلبنى، يأأنا يا هى
عندما قلت هذه الجملة علا صوتى دون رغبة منى وبلا وعى تقريبا ، فانتبهت الى ثورتى ، تداركت اعصابى وافلاتها ، زفرت متنهدا كضربة اخيرة قاضية على غضبتى المفاجئة وعدت لحوارى مع نفسى:
اننى لو كباقى الناس ، بمعنى أن أوجد بينهم دون أن أثير بوجودى قلقا وتحفظات وأحدث ربكة ولو أننى استطيع التحرك بحرية وسلاسة كما يفعلون ، لو أننى اقدر على فعل ما يفعلون دون أن القى مليون مستنكر ومليون منتقد وكذا مليون آخرين يصطادون فى الماء العكر، لو يحدث ذلك ويتاح لى لحاربت هذه المشكلة بمعننة وروقان بال وجبت أمها الأرض: ـ حافظ على الفاظك يا ابرام ، حد يسمعك تبقى حكاية .
فقط لو أنك تصمت وتدعنى فى حالى ، الايكفينى من هم بالخارج حولى ، فتقفز لى انت من الداخل ، ياسيد يا محترم أننى لست بحاجة لأثنين ابرام ، فلاتعش لى فى دورالضميراليقظ الذى ينبه صاحبه الى اخطائه ويحاول انقاذه ، لست فى حاجة اليك الأن ولا بعد الأن.
ـ يا ابرام هتعوذنى ، انت داخل حرب مع مشكلتك اللى مغلباك دى وانت لوحدك مش قدها
ـ بل أننى قادر عليها وقدها وقدود ثم أن الرب راعى فلايعوزنى شئ
ـ ماشى يا ابرام وخد بالك لولا أنى ضميرك يعنى أنا مؤمن بالرب اكتر منك ولولا أن عقلى كبير وما باحبش اغلط فى حد كنت قلتلك ابقى خللى الرب ينفعك،ع العموم براحتك واوعى بقى من وشى فى الساعة الضيقة دى لاحسن المشرحة مش ناقصة جثث .
- غور يا شيخ .

علا صوتى مرة أخرى بضيق وزهق بالغين وأن كان اخشى ما اخشاه من علوه أن يسمعنى مدحت فيبدأ معى حوارا لن ينتهى بسهولة ، ولفت نظرى فى الجملة التى قلتها لضميرى عانيا بها أن يذهب بعيدا عنى ، أننى قلت : غور يا شيخ ، فأحلت صوتى للداخل وبدأت اتساءل: لماذا لم اقل له :غور يا قسيس، رغم أن استبدال كلمة شيخ بكلمة قسيس مع الاحتفاظ بالمقطع الأول الجميل سيكون انسب واكثر ملائمة لجو الكنيسة التى اوجد بها ، وكلمة شيخ هذه مستهجنة وغير مستحبة ولا داعى اطلاقا لذكرها هنا ، فهل لأن تغيير الكلمات سيؤدى الى أن تصبح الجملة غير جذابة ، بل انها غير جميلة بالمرة ، أن وقعها ثقيل على الأذن ، ليست محببة للسمع وخفيفة الدم مثل غور ياشيخ وايضا لأننى لم اسمعها من أحد قبلا واعتقد أننى لن اسمعها فى قادم الأيام ، وايضا لأننى تربيت وأنا اسمعها كذلك وحدث مرارا أن قالتها لى ـ الله يقدس روحها ـ أمى وكانت تخرج من بين شفتيها كما السكر : غور يا شيخ جاتك ستين نيلة ، أو فى مناسبة أخرى ليست سعيدة طبعا : غور يا شيخ انا عارفة فرحان لى بروحك كده ليه . وقد قالها لى أبى هو الأخر كثيرا عندما كنت اعارضه ولا اوافقه على أن أسلك الطريق الذى أوصلنى الى أن أكون ابونا ابرام ، وكان فى قول أبى لها حتمية تؤكد أنه لا يصلح ولا يصح أن تقال بغير ذلك من الالفاظ قال ـ الله يقدس روحه ـ : غور يا شيخ قطر يزهملك . ومع أنه قدس الله روحه افسدها بهذا اللفظ الأخير البشع الآتى من الزهملة والتى يراد بها فى سياق المعنى أن يقول لى أنه يود لو أن القطار شندلنى ، فما كان سيسوئه لو قالها هكذا : غور يا شيخ قطر يشندلك .

هذا ولهذا لم أقل ولن أقول جملة غور يا قسيس ابدا ، فهى أن نطقتها ستجلب لى متاعب كثيرة لا حاجة لى بها ولا أعانى من نقص فى المتاعب حتى اجلب الىّ المزيد. فلو سمعنى أحد الموجودين بالكنيسة وأنا ارددها لأى سبب فسيظن بيقين أننى قد بعت القضية وأصبحت عميلا وما اكثر الجهات التى سأتهم بالعمالة لها ـ ليس اهمها أو اخطرها جهة المسلمين . وتكمن عبقرية الجملة فى تحايلها باستخدام لفظ شيخ ، فأن كلمة شيخ فى اللغة العربية لا تعنى فقط أنه رجل دين ، بل أنها اقرب لمعناها الأخر والمقصود به الأشارة الى رجل كبير السن ، اما عندنا نحن المسيحيين الاجلاء لاتعنى كلمة قسيس سوى ذلك الرجل الذى يتبع الرب والكنيسة ويلتحف دوما بالسواد. ولانه ولسبب طائفى بعض الشئ أن الشيوخ كثيرون جدا ، كل البلد شيوخ ويقابلهم قلة فى اعداد القساوسة ، فلو غار احدا منهم أى ذهب فى ستين مصيبة فستكون مشكلة.

مشكلة: ـ ها هى مشكلتى تعاود الهجوم وكأنها تذكرنى بها ، معتقدة أننى قد أكون نسيتها ، لا تعلم أننى لا احاول ذلك ، تفضيلى للهجوم يغلب ميلى الى الدفاع الذى قد يؤدى الى فشل ذريع ، فتسقط الحصون الدفاعية ويجرى اختراق.. يجرى اختراق وكأنى لا ادرك أنها اخترقتنى فعلا ، اننى سئ ، النقص يملأنى كغيرى ، أكابر وأعاند ولاأقر الحقيقة واتحاشها ، هذا ليس علاجا يا ابرام ، تيقظ ، أفق ، لاتكن مغفلا دع الحمق جانبا الأن أنك على وشك اعلان الحرب فلتكن مستطيعها فات أوان أن تلهى نفسك وتخدعها وتقول أنها ليست مشكلة أو أنها لا تتجول بك.

ما الأمر ..أأتخلص من ضمير يظهر لى أخر . إ لى فى كل خرابة ضمير ، كم ضمير يملكه الأنسان ، لقد اطلعت الى لحظتى هذه على اثنين احدهما ضميرعامى والأخر فصحى ، فماذا ايضا فى الطريق الىّ..ارحم يارب ، كيرياليسون ، كيريلسيون.

ـ استمع الىّ يا ابرام واعمل بنصيحتى ولا تكن مثل الشاعر القديم الذى ظبط اباه مع أمه متلبسين فى الفراش ، فقال: تجعلق الخرطاف فشوشن فى جردابة حتى تبعرط بعرطة شديدة. ثم بعد ذلك تندم وتلعننى وتدعى أن ضميرك الذى هو أنا شئت ام ابيت قد تخلى عنك ولم يسد لك النصيحة ، عد الى رشدك يا ابرام ، عد يا ابرام.

لم املك الا أن اضحك من قلبى فعلا وتجاوز صوت ضحكتى داخلى وأنا اتكلم بصوت مسموع: والله ضميرى ده ابن نكتة صحيح ، فكرنى بفيلم صراع فى الوادى اللى شفته زمان فى السيما وكان عمر الشريف بيقول لحمدى غيث : اقتلنى يا سليم ، اقتلنى يا سليم اهو ده راخر بيقولى عد يا ابرام ، عد يا ابرام.

ملت بظهرى على مسند المقعد وما زال شبح ابتسامة تبقت من ضحكتى فوق ملامحى وعدت الى نفسى احاورها : وبعد أن المركب التى لها قائدان تغرق وأنا بضميري نكون ثلاثة أذن فسنغرق حتما ،لكن لن يكون هذا، سأحارب مشكلتى بمفردى دون عون ، دون مدد من أحد ولا حتى ضميرى ، فلتكن معركتى الكبرى وربما الاخيرة .

ازحت غطاء رأسى قليلا الى الوراء ، يدى تتحسس الصليب الاسود الكبير فوق صدرى ، ثم علوت بها حيث داعبت لحيتى السوداء متاملا ، مفكرا فى ترتيب خطوات معركتى الفاصلة مع مشكلتى المزمنة فى يوم وضح أنه هو الأخر اسود وذلك السواد الذى يعم الاشياء والمكان والزمان اعتقد أنا ابونا ابرام أنه سيمتد الى نهاية هذه الليلة فالليلة السوداء يبدو سوادها ويتضح جليا منذ العصر.. وها قد اقتربت الساعة من الرابعة مساءا وما زلت احاور نفسى واكلمها محاولا إيجاد سبيل للخلاص وتدبير الأمر معها . ساعة كاملة مضت منذ أن اختليت بنفسى ولكن ساعة مدة طويلة لغياب من كان مثلى ومثلى هذه تعنى المسئوليات التى ورائى من رعايا الكنيسة ورجالها وخدامها وحتى اعمدتها وايقوناتها وكل ما يجرى داخل جدرانها ، وعموم الذين هم بحاجة ماسة الىّ كمعترفين ومن هم فى حاجة ماسة لمشورة خاصة منى .وكل هذا ليس مهما ولا يمثل عائق من أى نوع ، لكنه مدحت هو من أخافه وأحسب له الف حساب ، فمدحت هذا اختارنى دونا عن جميع ما خلق الرب من بشر وقرر أن يتبعنى كظلى لسبب لا يعلمه غيره ،

غيرعابئا برأيى فى قراره هذا ، وهو أكيد اقلقه غيابى فى هذه الساعة و..ها هو اقبل ، فهذه الدقات الغبية لا يحدثها الا هو ، لقد قطع حبل افكارى ودمر تواصلى مع خطة حرب العصابات التى كنت ادبرها لهزيمة مشكلتى، لقد اكتملت المؤامرة .فمدحت مستحيل الا يكون عميلا لأحد ما ، فأنا منذ أن رأيته واهل علىّ كالمصيبة وأنا اشك فيه ولا ارتاح له ،أكيد هو مدسوس علىّ، فلا يعقل الا يكون شخص مهمته فى الحياة احراق دمى وزلزلة اعصابى ليس مأجورا ضدى .اخترق صوته اذنى وهو ينادينى من الخارج:

- ابونا ابرام ، يا ابونا ، يا ابونا
- عاوز ايه يا مدحت
- افتح يا ابونا ، انت نعست ولا صاحى رد علىّ
- يا مدحت عاوز ايه
- عاوز اقولك حاجة مهمة يا ابونا ، انت راقد ولا قاعد على حيلك صارحنى
- امشى دلوقتى يا مدحت
- يا ابونا ده أنا عاوزك افتح يا ابونا انت نمت ولا بتعمل حاجة فى الحمام قوللى الحقيقة
- يا مدحت يا ابنى امشى سيبنى كمان عشر دقايق
- ما ينفعش يا ابونا ،على بال متعدى العشر دقايق دول هاكون نسيت يا ابونا ، هوه

انت مكوع ولا مكسل تقوم تفتح لى ، فهمنى ايه حكا يتك

قمت وفتحت له الباب وأنا اضغط على اعصابى محاولا تهدئتها وهى محاولة يبدو عليها الفشل.

- نعم يا مدحت قول اللى عايز تقوله
- المسمار ده يا ابونا مش راضى يتعدل ، عمال ادق عليه وبرضه مفيش فايدة
- طب وانا اعملك ايه يا مدحت ، هوه انا نجار يا ابنى
- لع يا ابونا بس برضه ليك صرفة
- صرفة ايه يعنى اللى هاتصرفهلك
- يا ابونا بلاش اللوع ده ، بقى عايز تفهمنى انك مش هتعرف تعدل المسمار

بلعت كلامه الماسخ وقلت له:

- طب انت شايف انا ممكن اعمل ايه يا مدحت
- ياسلام يا ابونا بس لولا الحوط والمكر اللى فيك كان زمانك ربنا فتحها فى وشك

كررت عملية البلع :

- ماشى يا مدحت ايه بقى اللى عايزنى اعمله للمسمار ده
- يا راجل خف نفسك كده واعملك معجزة حلوة وصغيرة على قد المسمار
- معجزة ايه يا مدحت يا ابنى
- هاقولك ان برضه وانت بتاع المعجزات كلها ، ماشى يا عم ، معاك للاخر يا ابونا ، اعمل اللى هاقولك عليه ، شد نفس جامد قوى واكتمه جوه شوية وبعدين طلعه من مناخيرك ع المهل وارسم علامة الصليب ومشى ايدك ع المسمار يتعدل على طول
- هى دى بقا المعجزة اللى عايزنى اعملها وايه المعجزة فى كده
- يا ابونا بلاش شرمطة بقا اتنشط كده وخلصنى

ليس لى أن اغضب منه فكثيرين جدا غيره ، بل الجميع يعتقدون مثله أننى اصنع معجزات أو قادرا علي صنعها ويا ليت الأمر كذلك كنت كل خمس دقائق اصنع لى معجزة أو معجزتين ولكن من أين. أن الرب فقط هو من يستطيع ومعجزته الحالية أنه جعل هؤلاء الناس يعتقدون أننى صانع معجزات مع عدم قدرتى حتى على حل مشكلتى الخاصة على تفاهتها وعدم حاجتها لمعجزة لتحل. أن هؤلاء الناس ينتظرون منى ما ليس بيدى ،أنهم يدفعونى دفعا للأ كتئاب ويجعلونى أقف امام نفسى عاريا، شاعرا بضآلتى وصغرى وعدم استحقاقى لما يضعونه علىّ من هالات مجد.

- يا ابونا شمر اكمامك وعض على شفا تيرك واعمل المعجزة خلينى اشوف حالى ده

انت بارد قوى

وهذا يطالبنى باقرار عجزى وضعفى سريعا والأن .

– اقولك يا مدحت هو المسمار مش عايز معجزة ولا حاجة خلى المعجزات للحاجات

الكبيرة ، انت دلوقتى تروح تغلى شوية ميه وتحط فيهم المسمار تلت اربع ايام

لحد اما يلين وبعدين هتلاقيه فى ايديك زى العجينة

- يا عينى عليك يا ابونا لما تمخمخ معاك ، ما هى معجزة اهى طب لو ما كانتش معجزة ماجتش على بالى انا ليه الفكرة دى

لو أنهم جميعا كمدحت هذا سأعلن لنفسى أن تترقب ثروة مادية ومعنوية قادمة لا محالة. لكن مشكلتى الأن ليست مدحت أو غيره من الاغبياء ، أن مشكلتى الحقيقية هى الشبكة ، أجل هى الشبكة ، لا شئ أخر لا أعنى سواها ولا اقصد غيرها اذا ما قلت أن لدى مشكلة ، أن الشبكة هى مشكلتى التى استعصت واستفحلت وأدت الى ذلك الخلل الذى اصابنى فما عدت أنا .. وبما أن اصلح واسرع وسيلة لمواجهة الشئ هى تفنيده وتجزئته وتفتيته لتسهل هزيمته ، فلأفعل ذلك مع الشبكة : أنها ليست من شباك الصيادين ولاالشباك التى يقف امامها حراس المرمى فى المباريات ولا هى شباك العشق والهوى . ليست ايا من هذه الانواع الشباكية . أنها شبكة الانقاذ التى يستخدمها رجال الاطفاء لأنقاذ من

تضطرهم ظروف ما أو حريق للقفز من الأدوار العليا فيتلقاهم رجال المطافئ فوق هذه الشبكة بعد فردها اسفل المبنى والامساك بأطرافها حتى يقفز النفر دون أن ينتظره خطر الموت ودون أن يصاب نتيجة الأرتطام بالأرض. تلك هى الشبكة التى اقصد وهى التى صنعت لى أزمة فى حياتى وبلبلتنى . والمصيبة أنى اجدها فى كل الاماكن ، فى الطبيعة وفى السينما والأدهى والأمر أنها تسكن خيالى لا تريد مفارقته وكأنها منه وهو - خيالى - منها .ويتمثل أساس صراعى معها فى حالة وجود رغبة جارفة لدى احدا ما ، أى أحد وكل أحد ، أنا مثلا ابوكم ابرام فى أن اقفز من أعلى مكان ممكن ، ليس لأن حلم الطيران يراودنى ولكن لأننى اريد أن اصل الى الرب اسر ع ، أود الانطلاق مع المسيح فهو احن وارحم ، اريد الانتقال من هنا من كل ما هو هنا الى هناك ايا كان ما سأجده هناك ، أى ارغب فى الانتحار قفزا من مكان مرتفع : - ليس ما قلت هو كل الحقيقة ،هناك ما هو خافى ، فضلت أن اقوله منفردا بعيدا عن زحام كلامى السابق ،حفظا لخصوصيته وحتى لا يفهمنى شخصا ما بطريقة خاطئة ويسئ تأويل معنى حديثى خاصة الرب يسوع اخشى جدا أن يعتقد أننى انافقه واتملقه ليغفر لى ذنب الانتحار وأن رغبتى فى الانطلاق أليه ليست خالصة،وهذا هو ما خفى: أننى افلست روحيا وماديا،ما عاد لدىّ مخزون من أى نوع اتعامل به مع البشر أو حتى مع الرب ،لقد اقفرت جدا واصابنى قحط شامل وجفاف فظيع وانقطع ما يجمعنى مع البشر واقتربت جدا مما يجعلنى اكثر شبها بالحيوانات وهى مع عظيم تقديرى واحترامى لها وخاصة جموع الحمير والبقر وعموم كلاب البر وعموم البوم فى الجو ،لأنهم اكثر الحيوانات قربا من نفسى وقلبى وارجوهم الا يأخذوا على خاطرهم منى ،فقد يكون فى بعدى عن مملكتهم كل الفائدة والخير لى ولهم وفقكم الرب واكثر من امثالكم آمين ، آمين وهم مع كل هذا الذى اكنه لهم من حب فأنا لا احتمل أن اصبح حيوانا بعد أن كنت بشرا ذو اهمية ودلالة ومعنى ، لذا سأنتحر .

انتحر!!؟ أنها كلمة سهلة وكانت ستكون اسهل لولا وجود تلك الشبكة اللعينة ، أنها تقف بينى وبين رغبتى ، تحول بينى واحلامى . فحتما سيأتون بها لانقاذى من الأرتطام بالأرض . وسيقول أحد النبهاء منكم معيبا على غبائى : فلتفعلها يا ابونا ابرام فى وقت ليس به ناس وفى زمن متأخر حيث لا يكون هناك سبيلا لانقاذك. هذا جميل ولكن ما الفائدة لو أنهم لم يرونى أو بمعنى اصح لو لم أرهم وأرى موتى فى أعينهم وما سيحدث فيهم انتحارى . فى هذه الحالة سيعتقدون أنى سقط سهوا أو انزلقت قدمى فهويت من عالى ، فلن يظن أحد أن رجل دين مثلى يقدم على الانتحار وبهذه الطريقة . ثم سيكون موتى هادئا ، عاديا ، لا ضجيج ولااهتمام أو اثارة وفضول فيه ، لن يكتنفه الغموض الجليل الذى ابتغيه ، أنه موت لا يليق بى ، مجرد رجل سقط من أعلى وهذا قليل جدا علىّ ، فأن لم اكن اخترت البداية فلا أقل من أن اختار النهاية.

أننى وبكل صراحة ووضوح أسعى بانتحارى للفت الانظار لأحداث ضجة ، صحافة ، تليفزيون ، كل الاعلام ، اهتمام واسع بانتحار رجل دين مسيحى ، فتثار الاسئلة دون أن يصلوا الى الحقيقة ، التى ستموت معى ، فلا يعرفها غيرى .هذا مناسب تماما لى . لكن ماذا افعل فى الشبكة ، كيف اتفاداها ، فهى لا مفر من وجودها فى حالة انتحارى العلنى ، فما الحل ، هل اتعمد عند سقوطى أن اسقط برأسى عموديا فوق الشبكة ، فتتمزق اسفلى وانزل الى الأرض ويحدث الارتطام الذى اريده ليميتنى .. والعدرا مريم أنا لااصلح بنى آدم ، أهى شبكة من ورق الجرائد أو شبكة من الدبلان لكى تتمزق بمجرد أن اسقط فوقها ، سواء سقطت برأسى أو بمؤخرتى ، فأنا لست الرجل الاخضر أو سوبر مان أو امثل فى فيلم عربى لأنفذ بهذه البساطة والساذجة من الشبكة الى الأرض . ثم أن حكاية السقوط بالرأس فكرة غبية ، مثيرة للاشمئزاز والاحتقار، فكيف احترم نفسى وأنا اسقط بين الناس مقلوبا وساقاى يجدفان فى الهواء ك أى نفر اهبل سيكون منظرى سيئ جدا ، خاصة لو تواجدت وسائل الاعلام ، وهناك ايضا موقفى أمام نفسى ، فبعد أن كنت انوى السقوط مرفوع الرأس ، منتصب القامة ، مبتسما ، مغرورا ، يصل بى الحال الى أن اسقط بهذه الطريقة التى تجعل ثيابى الداخلية عرضة للفرجة امام الجميع واسمع أحدهم يقول لجاره : شايف ياد لباس ابونا ، ده الوان .

مستحيل ، لن يحدث هذا ، فلأجد طريقة أخرى للهروب من هذه الشبكة الداهية بنت الداهية . ولكن ماذا ، أين أجد طريقة أخرى ، لا وقت لدىّ لأشاهد الافلام السينمائية التى بها ما يشبه ما انويه والتى قد أجد فيها مخرجا لورطتى هذه ، الزمن ليس فى صالحى ، أنا قررت اقوم بالعملية قريبا جدا.

وفى نفس الوقت لا استطيع أن أسأل أى شخص مساعدتى والتفكير معى ، حتى لا اضطر لكشف سرى ، فما العمل يا ابرام ، ما العمل ، العمل ، ماذا تفعل ، ماذا تفعل.

انطلقت فى الضحك فجأة،قاطعا تفكيرى : ده انت عملت زى كبير الرحمية قبلى . ناقص ادور فى الاوضة رايح جاى واقول تعمل ايه يا عبد الرحيم ، تعمل ايه يا عبد الرحيم ، باين انا اتجننت.

هنا ، قف ، وجدتها ولا حركة ، هذا هو : اتفق مع رجال المطافئ الذين يمسكون بالشبكة فى مثل هذه الحالات واعطيهم رشوة ليساعدونى فى الوصول الى أن ارتطم بالأرض دون موانع بحيث عندما يرونى ساقطا من أعلى ينتظرون الوقت المناسب ، اللحظة الفاصلة عند قرب وصولى للشبكة المفرودة اسفلى فيترك كل منهم طرف الشبكة الذى يمسك به ، فأكمل أنا طريقى الى حيث الأرض الصلبة ، المميتة ، حبيبتى ، وبذا اكون نفذت ما اريد ، ثم اموت صافى الذهن ، مرتاح البال والضمير ، لا يعوقنى شئ عن انطلاقى مع المسيح وادع خلفى الجميع فى حيرة وبلبلة يعانون من حمى الفضول لأكتشاف حقيقة ما دفعنى لهذا التصرف

الاحمق ـ من وجهة نظرهم ـ بينما أنا مسجى فرحا ، خفيفا ، متفائلا ، فسألقى الرب : يا سيدى ع الروقان وقلة العقل

ـ انت تانى ، مش قلت لك تغور من حياتى خالص ومالكش دعوة بيا

ـ ما ينفعش يا ابرام افندى ،اصل ضميرك ده عامل زى قلبك ، زى معدتك ، زى طيزك ، هاغور منك اروح فين ، وبعدين هما كلمتين اللى جاى ارميهم فى وشك

علشان اخلص ضميرى

ـ هو انت عندك ضمير

ـ طبعا ، امال ايه اللى خلانى اجى على نفسى وادوس على كرامتى بعد اهانتك ليا

غير ضميرى الصاحى ، اسمع بقا ، ايه يا ابرام يا ابوهم ذنب الناس اللى هيروحوا

فى داهية بسببك لما يسيبوا الشبكة عشان انت تقع ع الارض وتموت.

يوه ، يوه يا ابرام ، اين غابت عنك هذه المسألة أن ذهاب اولئك الذين سيتأمرون معك فى ستين مصيبة شئ أكيد ،فما سيحدث سيكون أمام الجميع ، سيرى الكل خطتى عند تنفيذها وسيكون اولئك المتأمرون ضحاياى، أنا فى السماء الملائكة يتصرفون معى وهم فى السجن المخبرين يتصرفون معهم ، والفرق شاسع بين السماء والارض ، بين فوق وبين تحت ، بين الملائكة ايا كان ما أمروا به وبين غلاظ القلوب ، قساة الوجوه ، معدومى الفهم والتمييز الحيوانات ، منزوعى الانسانية ، المسمون بالمخبرين ، لعنة الرب عليهم ولأول مرة انطق بهذه الالفاظ ولأول مرة سأنسى أننى رجل دين وقورهادئ الأعصاب واقول : يلعن دين ام المخبرين اللى فى البلد واحد واحد. فهل اترك هؤلاء المتأمرون الابرياء لهم ، وماذا سيقال عنى من الناس عموما ومن مريدينى خصوصا ، أنهم سيجدون أن آباهم ابرام ليس افضل من رجال الأمن بكافة رتبهم ، فها هو قبل رحيله المخزى ، المحزن ، لفق تهمة لأخرين بغض النظر بقا عن موافقتهم على التأمر معى ، وسيكون لهم كل الحق أن يتهموننى بالعمل مع مباحث أمن الدولة وهى الجهة الاولى المختصة بتلفيق القضايا الثقيلة لأفراد الشعب بكل طوائفه ، وغير ذلك كيف القى الرب ، من أين لى ساعتها بالانطلاق مع المسيح ، أن الرب سيلقى بى مرة أخرى خارج سماواته الى الأرض التى لا استطيع العودة اليها ، فأكن بذلك قد رقصت على السلم ولا يبقى لى سوى أن اذهب لألعب على الجسر .

وأن أنا عدلت عن هذه الخطة ، مصرا على الابقاء على صورتى لدى رعاياى ومتجنبا لغضب يسوع الرب فدخولى من جديد لدائرة الحيرة والدوران حول النفس أمر لا مفر منه فهل أسعى لإيجاد ...

أخرجنى من استرسالى فى الفكر وعن اتزانى و هدوئى وعن حالتى المزاجية الى أخرى غاضبة ، مستفزة،طرقا متواصلا ، عنيفا ، تصاحبه صيحات لها ما للطرقات من تواصل وعنف:

ـ الحقنا يا ابونا ، افتح يا ابونا ، اجرى يا ابونا

،قفزت من مقعدى فتحت الباب مرعوبا ، مأخوذا ، مدركنى فزع شديد:

ـ فيه ايه يا مدحت

ـ وكمان حصل فى الكنيسة يا ابونا ، يعنى خلاص الدنيا خربت

ـ ايه هو دا يا مدحت

ـ يا ابونا انت لسة واقف ، ده انت ما عندكش ريحة الدم ، اجرى يا جدع معايا وانا

اقولك تعالى

،جذبنى من يدى مخرجا اياى من الغرفة ، فهرولت معه وهو يقول :

ـ عيل م العيال وبنت م البنات نازلين فى بعض تبويس واحضان وفى الكنيسة يا ابونا ،

ف الكنيسة

، جذبت يدى من يده وقد اعترانى غضب كاسح ،كاد يعمى عيناى ، تلفت حولى كالمجنون بحثا عن شئ أرد به هذا الحدث الفظيع ، فلم أجد سوى عصا غليظة ، امسكت بها وأنا أجرى سائلا مدحت :

ـ فين يا مدحت ، ودينى عندهم ف الكنيسة يا ولاد الحرام

ـ تعالى ورايا يا ابونا ده باين ان القيامة قربت

، جرينا سويا حتى لقد خرجنا من باب الكنيسة وصرنا نجرى فى الشارع ، نسيت هيبتى ووقارى وتركت ردائى الكنسى يهفهف حولى ومدحت يتقدمنى وهو يتمتم باشياء مبهمة

بينما اخرسنى الغضب:

ـ هما لحقوا يطلعوا م الكنيسة يا مدحت ، فين يا ابنى العيال دى

ـ اهوه هنا يا ابونا

ـ هنا فين دى قهوة يا مدحت

ـ تعالى بس

، جذبنى من طرف كمى فدخلنا القهوة وأشار مدحت الى شريط فيديو : هنا يا ابونا فى المدعوق ده

ـ مدعوق ايه دا شريط فيديو فين يامدحت الواد والبت اللى باسوا بعض

ـ م هما جوه يا ابونا فى الفيلم اللى ع الشريط ده

ـ يعنى انت عايز تقول ان الواد اللى كان بيبوس البت ويحضنها فى الكنيسة هنا فى الفيلم ده يا مدحت

ـ ايوه يا ابونا انت مش مصدقنى طب والمسيح الحى شايفهم ف الفيلم من شو
ية و
بالامارة كان لازق البت فالعامود

،درت على اعقابى وسرت بطيئا الى الخارج ، متجها نحو الكنيسة بوجه جامد ليس به أى تعبير ، تركت العصا تسقط من يدى ، ومدحت يهتف بى قائلا :

ـ والواد والبت اللى باسوا بعض يا ابونا

، هأنذا يا يسوع صابرا لا اعترض ،أننى فهمتك واذعنت لمشيئتك فى تطهيرى من ذنوبى عن طريق هذا الشخص ،لن انطق بالمزيد،فأنت مخلصا ومنقذنا.

ـ يا ابونا دول كانوا فى الكنيسة وكمان باسها ف حنكها يا جدع

، التفت اليه فى هدوء شديد :

ـ سيبهم يا مدحت يبوسوا بعض ان الله محبة

اغلقت باب الغرفة خلفى من الداخل ،جلست استجمع افكارى محاولا تذكر ما كنت قد توقفت عنده من تفكير قبل أن يقاطعنى مدحت : ماذا كنت اقول ، آه ، علىّ بالسعى لإيجاد وسيلة غير تلك التى بها ضرر للأخرين ، لكن ماذا لو عدلت عن فكرة الانتحار قفزا من مكان عال اصلا واخترت طريقة أخرى اسهل واظرف وليس بها تعقيدات وليس بها شبكة ، فما المانع لو جربت أن اغرق مثلا او اقتل نفسى بالرصاص أو اتناول سندوتش سم فئران مركز أو أن اكهرب روحى أو انام على قضبان سكة حديد فيدهسنى قطار اربعين عربة فلا يبقى منى شئ . لماذا أصر على طريقتى هذه التى تحيرنى ولا أجد لها مسلك للخروج من عقدتها . أنه مزاج ، اصرار على مبدأ ، أو حب للأختلاف عن طريق اختيار الصعب فكل وسائل الموت الأخرى سهلة ومتاحة ولكنها لا تكفل لى أن اموت مبسوطا فرحا ، شاعرا بأننى انجزت شئ ما . اختيارى لأى طريقة أخرى لأنهاء حياتى غير القفز من أعلى سيسلبنى متعتى الأخيرة ، سيجعلنى اموت بدون نفس ، سيكون موتا ماسخا ، باردا لا حرارة فيه أو اثارة ولن تكون هناك تلك اللحظة نادرة التكرار والحدوث وهى المسافة الزمنية بين سقوطى من أعلى ووصولى الى الأرض. أن هذه المسافة بها الكثير جدا من الاشياء التى تكفل لى أن لا أنسى أو ينسون ، هذه المسافة النادرة ستظل عالقة بأذهانهم للأبد ، موجودة بذاكرتهم ما حيوا . أنها لحظة ستغير مجرى الأمور ، لن يكون ما قبلها مشابها لما بعدها ، ستجرى زلزلة فى نفوس من يشاهدونى رغم أننى لم أمُت بعد الا أنهم لا يستطيعون لى نفعا ولا ضرا ، سأجعلهم يرون عجزهم و ضعفهم أمام أعينهم ويكفينى أن أكون عالما مدركا لما احدثهم فيهم وأنا أهوى من أعلى ، فأخيرا سأكون قد صنعت شيئا حقيقيا غير مفبرك كدورى فى الحياة .

ـ يا ابونا ، يا ابونا

، اغمضت عينى المل ، تشبثت بمسند المقعد ، أحس ببعضا من قهر

ـ يا ابونا ، افتح يا ابونا ده انا مدحت انت مش عارفنى

، انتفضت واقفا عيناى متسعتان غضبا ، اكز على اسنانى ولكن اتقانى لدور رجل الدين غلبنى ، تصنعت الهدوء و سماحة النفس وأنا افتح الباب لمدحت

ـ نعم يا مدحت فيه ايه تانى

ـ بس لو اعرف قاعد كل الوقت ده لوحدك ليه يا ابونا اكيد بتحضر ارواح يا اما ناوى على معجزة صح

ـ فيه ايه يا مدحت

ـ فيه واحدة عايزة تعترف ومستنية من بدرى وكل شوية تقوللى بلغ ابونا وانا اقولها لع

لا يمكن ازعج ابونا لحد ما قالت لى يا تروح انت يا اروح له انا فقلت لها لع اروح انا

اصل انا عارفك ما تحبش حد غيرى يخبط عليك

ـ طيب يا مدحت قول لها انا جاى

، انصرف مدحت ، تراجعت أنا الى الداخل ، عدلت من ثيابى واطمئننت على صليبى فوق صدرى : انا مش عارف ايه الناس اللى غاوية تفضح نفسها دى وجاية تعترف هما ما سمعوش الحكمة القديمة اللى بتقول أن ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به اضيق لكن رزق الهبل ع المجانين

، دخلت مع الفتاة الى القاعة ، قلت لها بعد فترة صمت : ايوه يا بنتى اتكلمى

، فقالت بخجل شديد وان كان به فرح اشد : انا بحب يا ابونا

، نطقت كلمة الحب بصعوبة

ـ الله محبة يا بنتى بشرط أن نحافظ على مسيحيتنا ولانقع فى الخطيئة

، بدا عليها أن كلمة خطيئة ارعبتها ، نكست رأسها اكثر وقالت : اصل الى انا بحبه ده مسلم يا ابونا مش من دينى

، تقلص وجهى وكنت اود أن اقول لها أن الله محبة ولكن ليس لهذه الدرجة يا روح امك ولكنى قلت : أن اسلامه يا بنتى لا يعيبه كما أن مسيحيتك لا تعيبك لكن الا ترين أن انتماء كل حد منكم لدين مختلف هو اشارة من الرب بأنه لا فائدة

ـ طب واعمل ايه يا ابونا مش بأيدى

ـ شوفى يا بنتى لو كنتى جاية طالبة علاج عشان تنسيه فعليك بالصلاة للرب يسوع مخلصنا وحامينا

ـ حاولت كتير يا ابونا انساه وفى الاخر ما بقتش حتى عايزة احاول وبدعى يسوع ليل

نهار انى ما انسهوش انا بس جاية احكى لك يمكن تلاقى لنا حل

، باللفخ الذى يضيق حول رقبة ابوكم ابرام ، أننى مطالب بإيجاد حل وهل مشكلة كهذه لها حل . أن الرب المسئول الوحيد عن هذا التعدد فى الأديان هو ايضا

الوحيد الذى يملك أن يحلها ، أين يذهب ابوكم ابرام فى مثل هذه المعضلة ،أننى اصغر كثيرا من هذا ، أننى شبه مهزوم من شبكة مجرد شبكة .

ـ يا ابونا انا عايزاك تدلنى على سكة ما نتفرقش فيها

، تطلب منى شيئا مما يقال عنه أنه مستحيل ، لاتعرف أننى لا استطيع أن ادلها الا على السكة التى يكون فراقهما فيها أكيد وحتمى ولا مفر منه ، انها لا تعرف أنه بمجرد خروجها من الكنيسة سأحاول بكل الطرق أن أنهى ما بينها وبين ذلك المسلم الذى تحبه ، لا تعلم أننى أنا من تطلب منه الحل هو الذى سيضع فى طريقها كافة العقبات وجميع العراقيل وعموم ما يؤدى الى أفساد الأمر ، لا تعلم أننى سأحرض من سيذهب لطلب الزواج منها وساوحى لاهلها بضرورة الموافقة سريعا ، الى جانب الضغط عليها دينيا وافهامها أن ما تحسه تجاه شخص ليس من دينها ما هو الا خطيئة وخيانة وجرم لا يغتفر فى حق يسوع والكنيسة ، سأدخل فى يقيتها كل ما من شأنه احداث صدع فى علاقتها بالمسلم الذى تحبه ، لا تعلم أنه من واجبى ومفروضا علىّ الا اتراجع حتى يتم القضاء على هذه العلاقة وافشال هذا الأمر ، أننا نتعامل مع المسلمين فى كل شئ وأى شئ لكن عند هذا النوع من التعاملات لا ، مليون لا ، وهم من ناحيتهم يرفضون ايضا مثل هذه العلاقات وبشدة ويقفون مثلنا تماما فى وجهها. أنها هذه المسكينة غير عالمة أن لا أحد سيقف معهما ، سيكون الجميع ضدهما ، أنهما ضحايا ما ارادته السماء .

ـ ابونا انت سامعنى

ـ ايوه يا بنتى معاك

ـ انا هاجيلك بعد يومين تكون دورت لى على حل ماشى

، وكما هو العادى وجدت مدحت امامى يقف فوق رأسى ويقول فى صياح حاد : اوعى يا ابونا ، ميل ، طاطى البصلة ، اوعى دماغك يا ست

ـ مالك يا مدحت ايه اللى جرى

ـ بس لو تبطل كترالكلام ده انبطح الاول ولا انت بايع روحك

، ثم ارتمى فوق الارضية ، مداريا رأسه بذراعه ، راقدا على بطنه ، ففعلت مثله ، مضطرا ، اخشى أن اندم لو لم اسمع كلامه و هبطت معنا البنت الى الأرض بحيث اصبحت منبطحة الى يسارى ومدحت الى يمينى استقر وضعنا الجديد فسألت مدحت بصوت هامس : خير يا مدحت

، فرد علىّ بسرعة محذرا : اخرس

، صمت مضطرا ، أرهف أذنى علنى اسمع انفجار ما أو طلقات رصاص أو يدخل أحد المسلمين أو أحد من العيال الصيع بتوع الكنيسة فيردينا قتلى ، يا سلام لو صدق ظنى وقتلونا لن افزع سأستسلم ما دام سيقتلون مدحت . تنحنحت البنت ، فأشرت لها بالصمت ، آه لو أنها تدرك أن هذه فرصتها الذهبية التى ارسلها لها الرب لتتخلص من ازمتها وما تعانى من عشق مستحيل ، لوقفت وتلقت عنا الخطر الآتى خلف المحروق مدحت ، فما من دواء للعشق الحقيقى الا البتر وبما أن موطن هذا العشق يكون القلب والعقل فبترهما يعنى الموت ، فأن كان مصيرها الحتمى هو هذا فلتمت الآن نيابة عنا ، لا بل نيابة عنى فقط ، تقف بينى وبين الخطر القادم ، فأن كان رصاصا فلتتلقاه هى فى صدرها ، وأن كان الأمر سكينا فلتطعن هى أو ربما كان الأمر تمساحا فلتضع نفسها بين اسنانه بدلا منى . واتماما لموتها كفدائية وشهيدة فلتشر لمصدرالموت القادم الى مدحت فنكون بذلك قد ضربنا اكثر من عصفورين بحجر واحد ، لكن كيف أقل لها هذا الكلام ، مدحت افندى يمنعنى حتى من الهمس ولكنى جازفت وقلت بصوت هامس كنوع من جراالقدم: الشهداء مع الرب يسوع

، ولما لم يعترض مدحت ولم يطالبنى بالصمت والوقت يمر وما من شئ يحدث فقد واصلت همسى متوجها به للبنت : يا سلام ع الشهدا دول ، اخيرا الواحد هينولها ويبقى معاهم

، تخلت عن صمتها وجاوبتنى بهمس كهمسى : هو احنا خلا ص هنموت يا ابونا

ـ ده مكتوب يا بنتى ، بس يا رب اكون ان الاول

ـ اشمعنا يا ابونا هو فيه حد يحب يموت الاول

ـ ايه يا بنتى ما انتى مش عارفة كل ما كان الترتيب فى الاستشهاد بدرى كل ما كان القرب من الرب هناك فوق عنده

ـ صحيح يا ابونا ، يا بختك قريب من يسوع فى الدنيا والاخرة

ـ شوفى يا بنتى انا مش طماع ومش هاخد كل حاجة لنفسى كفاية علىّ رضا يسوع
حتى لو طلعت وراكى السما

ـ ازاى يا ابونا مش فاهماك

ـ يعنى لو لازمك تستشهدى انتى الاول خشى انا مش هازعل ومش هامنعك وفى الاخر
كلنا اولاد الرب ، قومى يا بنتى شوفى ايه اللى جاى علينا من بره ولو كان فيها
موت موتى وانتى فرحانة فالرب راعى

ـ انت فهمتنى غلط يا ابونا انا ما اقبلهاش على نفسى اخطف الموتة من بقك يا ابونا ،
انا اطلع السما قبلك لا عشت ولا كنت لو ده حصل مستحيل استشهد قبلك يا ابونا
قوم انت شوف ايه الحكاية ولما اشوفك غرقان فى دمك اتشجع وادخل ع الموت
بقلب جامد

، أنها تحاورنى ويبدوا أنها فهمت قصدى وأحست خوفى أى أن مكانتى القديمة عندها
قد تلاشت وبعد هل سنظل هكذا منبطحين كالخرفان ولما جعلنى ذكاء البنت عصبيا
: انت يا زفت يا مدحت
، لم يرد على ، هززته : انت يا مدحت يخرب بيتك انت نايم ، انت يا هباب الطين
، اعتدلت والحنق والغضب يعصفان بى ، ركلت مدحت فصحا مذعورا
ـ ايه يا ابونا ايه اللى حصل
ـ انت يا اخوى اللى تقولنا ايه اللى حصل وخلاك تسيب ركبنا وترعبنا
ـ يعنى انا الحق عليا اللى خايف عليك
ـ من ايه خايف عليا من ايه
ـ يا ابونا مشكلتك انك مش فى الدنيا انت ما بتسمعش عن الاغتيالات
ـ وانا مالى ومال الاغتيالات والنيلة
ـ انت مالك ازاى يا اخى ابوس رجلك حاول تفهم انت صيدة حلوة قوى للاخوة بتوع الاغتيالات وانا كان قصدى بالدخلة اللى دخلتها عليك انى اخليك قاعد وعينيك وسط راسك ابقى غلطان انا طب ده انا ناوى اعملك فزعة زى دى كل يوم لحد ما تبقى خبرة قوللى انت ليه مش عارف مصلحتك .

هل ابلغ عنه الأمن والبسه تهمة من ذلك النوع الذى يؤدى الى الأعدام مرتين على الأقل ، أم اضع له سم مركز فى كوب شاى واذهب فيه فى داهية ، ولماذا افكر فى الحلول الصعبة ، الثقيلة واترك الحلول السهلة المستطاعة فلماذا لا اطرده خارج الكنيسة : وتقطع عيش بنى ادم يا ابرام انت اخلاقك باظت قوى يا برم

، لن اجادلك فى مجيئك مرة أخرى ولكن لماذا علىّ أنا فقط أن احكم ضميرى وانت نفسك لماذا انت متيقظ هكذا وواقف لى ، طب حاول تساعدنى وحل لى مشكلتى ولا تقل أن الشبكة اقوى منا
: ما اقدرش اساعدك وأنا مش مقتنع

، لماذا لا تقتنع ، هل يخيفك الموت الى هذا الحد ، أم ترى أن سبب سعى لهذا الأمر غير قوى لايحملك على الاقتناع ، أن رؤيتك هذه تحزننى ، تجعلنى افقد احترامى لك ، فكيف تكون ضميرا حيا وتقر خيانة الروح لصاحبها أو على الأقل لا تأخذ موقفا منها وتقف منى أنا موقف المتفرج وكأنى لاأعنيك ، ستقول أن موتى بتلك الطريقة التى أسعى إليها حرام ولن يقبلها منى الرب ولن يستقبلنى فى ملكوته حيث أن هناك معه افضل جدا وستعيد علىّ اقتراحك القديم بأن أعترف لاحد الأباء من اصدقائى ولكنك تنسى أننى واولئك الأباء قد قمنا بدفن الميت سويا وأنا لا أريد لنفسى الفضيحة فقلة منهم فقط مخلصون ليسوع وكنيستنا أما الاغلبية يخيفوننى واعلم أنى لو اعترفت لأحدهم فسيأتى وقت على أحدهم هذا وتطالبه روحه بالفضفضة والتخلص من جبال الاسرار والاعترافات الجاثم فوق صدره وسيذهب ليعترف لأب أخر وهكذا حتى تصبح الاسرار مبذولة للجميع ، ارأيت كيف أن اقتراحك احمق وغبى مثلك ، أن مشكلتك يدك الموضوعة فى الماء البارد فلتذهب عنى الأن ، تراجع الى مكمنك واتركنى لحالى ، لن أؤذى مدحت فمهنتى تفرض علىّ وأن لم ارد أن اكون طيبا صبورا متسامحا وهذه هى عيوب المهنة : خد بالك أن تظل طيبا طول الوقت ، أن تظل صابرا طول الوقت ، أن تظل متسامحا طول الوقت . هذا صعب جدا ويدعو لكره الطيبة والصبر والتسامح ، انه يوقظ فىّ حنين جارف للشر والقذارة ، فأنا سأنتحر بحثا عن راحة ولكنها الشبكة الحقيرة تقف فى سكتى ، تسد علىّ الطريق لكن ورحمة أمى لاهزمها أن لم يكن اليوم فغدا .
ـ غدا دى يعنى بكرة ولا امبارح يا ابونا
، ندمت على انفلات اعصابى وعلو حسى فسمعه مدحت الذى تابع: ولا غدا دى كلمة قلة أدب
، اسنانى انضغطت عفوا وعيناى شديدتى الحمرة من احساسى أنى مظلوم فى هذه الدنيا وأن هذا المدحت كثير علىّ: ابوك ابرام هيقول كلام قلة ادب برضه يا مدحت
ـ اصلك قلتها وانت زعلان ع الاخر فقلت دى اكيد شتيمة حتى كنت هارد عليك واقولك اهو انت واللى خلفوك يا ابونا بس ما قدرتش هو مش ما قدرتش هو انا
خفت ما انت راجل بركة وبتاع ربنا تسكعنى دعوة ولا معجزة من بتوعك تسخطنى قرد
ـ طب روح يا مدحت خلع كل البيبان اللى ف الكنيسة
ـ ليه يا ابونا هتبيع الكنيسة
ـ انا هاشيل البيبان عشان ما تلا قيش حاجة تخبط وترزع عليها لانى خلاص اعصابى باظت وعلق مكانهم ستاير
ـ ماشى يا ابونا يا رايق يا بتاع الستاير يا العوبان يا نمس يا وحش الكنايس

، أيها الساكن فى الاعالى هبنى معجزة أخفى بها هذا الشخص من الوجود
.. صعدت الى سطح الكنيسة لأدرس مسرح العملية . هنا سأقول كلمتى الأخيرة ، سأؤدى أخر مشاهد دورى فى الحياة ، سأسعى باذلا كل الجهد لتكن النهاية مؤثرة ، موحية ، درامية لأقصى الحدود
، تطلعت من فوق حافة السور الى أسفل : هل تكفى هذه المسافة كى اموت فورا ودون أى شك فى وجود فرصة أخرى للحياة ، أنه سؤال للأجابة عليه لابد من تجربة وفى هذا الموقف لا مجال للتجارب لا أحد جرب الموت قبل أن يموت .

وقفت على حافة السور متأملا : سأكون واقفا هكذا ، مغلقا باب السطح بالاقفال ، لا ليس هنا ، سأذهب الى أخر السور حتى لا يستطيع أحد أن يتسلل خلفى . وهم جميعا الشرطة ، المطافئ ، الصحافة ، شعب الكنيسة ، الزملاء القساوسة ، اهلى ، كل الناس ممن تصادف مرورهم ،أنها فرصة نادرة للفرجة وسيكون معهم مدحت آه لو استطيع السقوط فوق رأسه فأهشمها له قبل أن اموت .

وهناك قبل وبعد ووسط كل هؤلاء الشبكة ، موجودة ، مفرودة ، مستعدة لاستقبالى بكل لامبالاتها لتفسد كل شئ ، فستجعلنى أبدو كمن يحاول اشعال سيجارة وسط العاصفة ، سأجن لو حدث ذلك بعد أن أكون ضربت بالجميع عرض الحائط فأسقط واقفا فى قلب الشبكة أمام الكل كالرجل العرص فاقدا كرامتى وهيبتى وكيف سأواجه هذا الموقف وقد تحولت الى اضحوكة ، نكتة سيرددها الناس فى جلساتهم ، ثم كيف سأرد على اسئلتهم التى سيحاصروننى بها أين ومتى ولماذا . وهذا كله بسبب الشبكة . مستقبل حياتى سيضيع لأجل شبكة ، مستحيل الا يكون هناك مخرج ، أيكون سكينا فى القلب واسقط فأتحايل بذلك على الست الشبكة فلا يجدى وجودها اسفلى ولكن ما العمل لو طعنت نفسى ومت فى الحال أو يحدث أن اسقط للخلف داخل السطح أو أن اسقط وفى نصف المسافة وقبل أن اقترب من الشبكة اموت ولا تكتمل رؤيتى لما اردت ولن المح عيون المنتظرين لسقوطى أى أننى سأموت بلا ثمن . ولكن ماذا لو بدلت حكاية السكين بأن اشرب سما ، لا ، لا ، أنه نفس الشئ ، سيعمينى الألم الناتج من سريان السم بداخلى من إستيعاب شئ .

وهناك بلوة أخرى ، ماذا سأفعل حيال النداءات التى ستوجه الىّ من اولئك الانفار الذين سيكونون اسفلى ، فأكيد أن كل منهم سينطق له كلمتين من باب تبرئة الذمة من ذنبى ، فيقف ابونا الكبير ليحذرنى من عاقبة الانتحار وقتل النفس عند الرب ويعلمنى أننى بذلك أكن عاصيا ليسوع ولن احسب من ابنائه ويتهمنى بالمرة بخيانة تعاليم يسوع والكنيسة وخيانته هو شخصيا نظرا لأنه كبيرى ومعلمى ويهددنى بأنه حتى الصلاة على جثمانى فى الكنيسة سأحرم منها فلا صلاة على منتحر ويحاول أن يستميلنى عن هدفى بكلمات اعرفها وكنت اضحك بها على من يأتينى طالبا العون ،نعم اعترف أنها كلمات للضحك على الذقون ولا تصلح فى مثل هذه المواقف التعسة ، المهمة ، أنها ككلمات الحكام ملعونة وسيئة السمعة وفى حالتى احتاج الى هزة عنيفة قوية تشبه الهزة التى تحدث من طلقات الرصاص أو هزة كالزلزال الذى يقلب الناس والبيوت والاحوال ويخلط السماء بالأرض ، هزة كهزة جماع شرس بين محرومين .

وسيقف اللواء كبير المخبرين بكرشه الضخم الذى يجعل الأخرون يعتقدون أن الملابس التى عليه ليست ملكه وأنما سارقها من أحد المواطنين الذين ليسوا مخبرين . يقف وحوله البهايم المخبرين يذكرنى مهددا بالعقاب القانونى لمثل حالتى والبهدلة التى ستصيبنى أن نجوت أو حتى لم أنجو ، ويؤكد لى أنهم سيعرفون كيف يحاسبونى على فعلتى هذه وأن كنت ميتا وشبعان موت ويشير الى البهدلة التى ستصيب كل من له علاقة بى وكل اطراف المؤامرة والممولين من الداخل والخارج ويؤكد أنه يعرفهم ولن يتركهم ، ويعدنى بأن يمنع المخبرين من متابعتى وكتابة التقارير عنى كنوع من الترغيب لأتراجع ولكن أن كنت لم استمع أو اوقر أو أعمل خاطر لأبونا فهل أفعل ذلك مع هذا النطع البوليسى .

، هذا وبقية الأخرين ، الا تكفينى الشبكة ، لا هذا ظلم لن اساوى مشكلة كمشكلة كلام الناس التى من السهل التغلب عليها بأن أصم أذنى وأضع فيها قطن أو حتى لا أطيل الوقوف قبل القفز فلا أعطيهم فرصة للجعجعة لن أساوى مشكلة كهذه بمشكلة الشبكة أنها مساواة غير عادلة لا تنبئ عن الحقيقة وتخالف ما هو حادث .

، تمايلت فوق حافة السور بشدة حتى كدت اسقط لولا أن تثبت بالحائط ولم أشك لحظة أن هذه الطرقات التى قتلت اعصابى تخص الملعون مدحت : الحقنى يا ابونا ، افتح يا ابونا ،الحقنى

، هبطت من فوق حافة السور أكاد أبكى غيظا بل فعلا طفرت من عينى دمعة ، فتحت باب السطح فأنطلق مدحت الى الداخل كالطلقة : اقفل الباب بسرعة يا ابونا تربسه

، نظرت اليه وطيش احمق يتملكنى ، يغرينى أن امسكه من رقبته ولا أتركه الا جثة : ليه يا مدحت

ـ يا ابونا اقفل الباب ، استر عليا الله يستر عليك

، سألته والكيل أوشك أن يطفح : عملت ايه يا مدحت مين اللى بيجرى وراك

ـ اهى هى دى اللى بتجرى ورايا

، دخلت الى السطح أمرأة جميلة جدا ، يبدو عليها التعب عرقها يلمع فوق الظاهر من جسدها المفترى ، اقتربت منى ومدحت يحتمى بى ، قالت : لو سمحت يا بغل انـــــت اوعـــــى كـــــده شـــــوية

ـ اوعى تسمع كلامها يا ابونا ، حوشها عنى

ـ عملك ايه يا بنتى مدحت

ـ دى هى يا ابونا اللى عايزة تعملى

ـ اسمع انا محدش يقدر يعملى اى حاجة ، اتزاح بقا لورا خلينى اتصرف مع الواد ده

ـ اوحياة ابوك يا ابونا ما تسيبنيش ليها

ـ هى عايزة ايه منك قوللى عشان اعرف احميك

ـ عايزة قلة ادب يا ابونا عايزة تبوسنى

، تعجبت وحسدته من قلبى : تبوسك ازاى يعنى

ـ اوعى انت بس م السكة وانا اوريك هابوسه ازاى

ـ تبوسينى ده ايه هو انا ماليش اهل

ـ استنى انت يا مدحت ، انتى اسمك ايه يا ست
ـ وانت مال اللى خلفوك بأسمى
ـ لمؤاخذة انتى مسلمة ولا مسيحية
ـ الصليب على ايدى اهو قد المنارة ولا انت اعمى
ـ طب لما انتى مسيحية وانا ابوكى ابرام واحنا دلوقتى فى كنيسة
ـ وانا مالى انا باحب الواد ده وهابوسه يعنى هابوسه
ـ يا اختى عيب احنا فى كنيسة مش فى شارع
ـ م انا كنت هابوسه ف الشارع هو اللى جرى منى
، نظرت الى مدحت باحتقار وكراهية عميقة: ما كنت تخليها تبو سك فى الشارع لازم تجبهـــا وراك لحــــد هنــــا
ـ انا ما اقدرش اتباس يا ابونا لان اهلى قالولى بوس لع
ـ بصى يا ست انتى مش بتثقى فيا
ـ ولا حتى معتبراك بنى آدم
ـ يا بنتى عيب ده انا قسيس
ـ وايه يعنى هو البلد دلوقتى فيها غير قساوسة وشيوخ وعشان كده تلاقيها خربانة
ـ يا بنت الكلب عيب ما تشخريش لابونا لاطحنك م الضرب
ـ طب لو راجل قرب منى
ـ ايوه عشان تبوسينى ، لع يا اختى ، ده اطول حاجة فى ابونا لسانه ، انا ما ليش دعوة
، نظرت الى مدحت نظرة ارعبته فانطلق يجرى والمرأة التى استخسرها فيه تجرى ورائه

، عجيبة هى افعالك يارب وعجيبة هى مخلوقاتك ، إين زوجتى من هذه المرأة ، أن زوجتى تحبنى ولكن عند كل تلامس جسدى بينى وبينها تقوم من تحتى لتذهب كى تصلى للرب وتعترف ، أنها على إيمان أن ما فعلته معى دنس بشع وخطيئة توجب أن تذل نفسها بالأعتراف لتنال مغفرة الرب ، أنها بذلك أكدت أن طباخ السم لابد له من تذوق ما صنعت يداه ، فنحن القساوسة طالبنا الشعب المسيحى أن يهتم بالروح ويسموا بعيدا عن خطايا الجسد ، لقد قلنا لهم وأفهمناهم أن الجسد ليس الا خطيئة ، فضيحة دائمة ، مستمرة ،يجب أن نحتقره ونشمئز منه ونسعى دوما للتطهر من اوساخه ، لقد أضعنا على الشعب المسيحى حقا من حقوقه وتناسينا أن الروح المقدسة التى قتلنا هذا الحق من أجلها تسكن فى نفس هذا الجسد المتهم ، لم نع ونحن ننقل للناس تعاليم الكتاب المقدس أن هذا التعريف الخاطئ للجسد والحط من قدره شئ من شأنه جرح الروح التى ندافع عنها باستماتة واصابتها اصابة بالغة الخطورة ربما تجعلها تنزف حتى الموت ، فجميع من تشربوا كلامنا هذا وتفسيرنا لعلاقة الجسد بالجسد يعيشون عبر العصور وحتى الأن بشعور مسيطر بالذنب ، شعور يفسد عليهم أى متعة لقد اقررنا أن الجسد فقط للحفاظ على النسل لقد اسئنا للجميع وها هو ذا ما فعلناه فى عموم ليالينا وحاق بالناس عتمة هذه الليالى قد وصل الينا ، مسنا ما مسهم ، أنه انتقام الرب وهذا هو عدله فهو لم يكن ليتركنا نلعب ونعبث فى عقول ابنائه دون أن يردعنا ويذيقنا من نفس الكأس التى اسقيناها للناس مستغلين مكانتنا الدينية ، ارحم يارب ارحم .
ماذا بنا ، ما الذى دعانا لنرى أنفسنا أفضل من الأخرين لدرجة التدخل المباشر فى حياتهم ، ماذا يميزنا عنهم ، ها أنا ذا أب من آباء الكنيسة ، قسيس ليس لى الا رأس واحد وجسد ليس به شئ زائد عن أى جسد لأى أحد أخر وأتبول وأتبرز وتضايقنى رائحة اخراجى فأشد السيفون لأخفى ما سقط من أحشائى ، تماما كما يفعل الأخرون وأسعى دوما للأستحمام لأسباب كاسباب الناس أى أننى لم اخترع لكونى ابوهم ابرام سببا جديدا للأستحمام وحتى أن أخترعت فلن يتعدى الأمر كونه قلة عقل وفراغ شديد ، وأنا رغم ردائى الأسود الكنسى ولحيتى السوداء الكنسية وصليبى الأسود الكنسى اضاجع زوجتى وتتركنى فى بعض الأحيان اقبلها وفى بعض الأحيان الأقل فى المواسم تتركنى وأن كان على مضض وبقرف منها أتحسس مناطقها الحية جدا التى يكمن بها ـ كماكنت اعتقد ـ منابع الأحساس الجنسى وأتمنى من كل قلبى كأى رجل وأن كان مسلم حتى لايؤمن بيسوع أن تتجاوب معى زوجتى أن تحسنى وتغنج أن تحسنى وتتأوه لذة أن تحسنى وتعلمنى أنها حست ، أن تسعى لأثارتى ولكنها وبفضل ما قر فى يقينها من الكنيسة أولا ومن أمها ثانية وببركات القساوسة أمثالى أصبحت مجرد لوح خشب عندما تدق فيه المسامير لا يتوجع ولا يصدر عنه أى صوت بل أن الأمر مسنى أنا شخصيا حيث ينتابنى أحساس بخيانة تعاليم يسوع عند أقترابى منها وأشعر أن مكانتى الدينية أهتزت ويتضخم هذا الشعور بالخطيئة و يتعاظم أن أجتاحتنى الرغبة الجنسية التى لا سيطرة لأحد عليها ولا مواعيد بمعنى أنه قد أثار جنسيا وأنا واقفا أتلو مزامير الرب على شعبه أو وأنا اؤدى أيا من مهامى الكنسية فيحدث أن يتقدمنى عضوى الذكرى منتصبا كالمارد .
أن ما تلقيته فى مدارس الأحد ومن بعد فى كلية الاهوت وبركات القساوسة المجيدين لم يقنعنى بأنى معصوم ولم يفلح فى اقناعى بأنى احز ما لم يحزه الأخرون ، أنا مثلهم ، ابرام ظريف ، اؤدى دورى فى إحداث التوازن المطلوب للحياه كما الطبيب والمحامى والحانوتى والقواد واللص ، ودعك من أننا نختص بأسرار الكنيسة السبعة من تعميد وتناول وتلقى اعترافات الى أخره ، فهذا نوع من انواع السيطرة وتحليل للقمة العيش .
لكن للحقيقة فقط أن ما أضفى علينا كل هذه القداسة والتبجيل يعود معظمه للناس ورؤيتهم لنا ، أن الناس هى صانعة الهالات والابطال والاساطير لحاجتهم

الشديدة لهذه الاشياء أنهم يسعون لإيجاد حلم ضخم لهم ، هدفا يلتمسون الوصول أليه فيمجدون أحدنا ويعتقدون فى بطلهم الذى صنعوه وبالتالى بطلهم هذا سيصدقهم ويقتنع نفسه أنه بطل ومن لا يحب ذلك . وعشت الدور اعجبتنى حلاوته وما عدت أستطيع التراجع فالبطل لايجبن ودائما يفعل فعل الابطال ولن يقبل منه غير ذلك ، لا يعطونه فرصة لأن يخذلهم ولو مرة ولكنى سأفعلها سأمنح نفسى هذه الفرصة سأكون مرة ابرام الذى أريده وليس الذى يريدوه ولن يقف فى وجهى شئ حتى تلك الشبكة سأريها هزيمتها ، يكفى ما مضى أيها الناس لا تطمعوا فى المزيد لا يغرنكم تآمر الظروف ضدى وإيقاعها لى فى فخ الشبكة اللعينة لن يجدى هذا طويلا فالحل قادم ما علىّ سوى انتظاره واستجلاء الأشارة إيذانا بحدوث التيسير ..لكن لو تأخرت الاشارة ماذا أفعل ، أننى لااملك وقتى ولقد استعددت نفسيا للموت ..هأنذا يعترينى الاحباط ، أن عيبى الكبير هو اشتعالى فجاة وانطفائى ايضا فجاة ، لأقفز فوق هذا السور من جديد ربما أوحى لى بالطريقة التى اتبعها لتحاشى الشبكة ، تمشيت من اليمين الى اليسار والعكس مدققا النظر الى الأرض البعيدة ، انتظر قف يا ابرام يا ابن الكلب هذا هو الحل اننى سأقف هنا فى اقصى اليمين فيفردون الشبكة اسفلى تماما وعند اللحظة الأخيرة أجرى بكل قوتى الى اقصى اليسار واقفز للفضاء والى أن ينتبهوا اكون قد ارتطمت بالأرض وانقلبت ميتا وكل عام وانتم بخير ، يا سلام يا واد يا ابرام الله علىّ لما افكر لا يكون لى مثال ، لكن الأن وتفكيرى مازال يفكر أكتشفت أن هناك خطا كالعادة فالمسافة من السور الى الأرض تسمح لمن ينتظروننى بالجرى حتى يلحقوا بى قبل وصولى للأرض ، اهتززت بمباغتة عنيفة جعلتنى أخرُ جالسا ولولا الملامة لانتحبت فقد زعق مدحت زعقة من هبشه اسد : ابوووونا . واقترب منى وانا مفكك الاوصال احاول حبس الدموع وهو يمسك بيده سكين كبير ويمشى ببطء وعلامات هم شديد على وجهه : امسك يا ابونا . ثم اغمض عينيه ومد لى السكين : ريحنى م الدنيا يا ابونا .

لملمت ما تبعثر من أعصابى وتجاهلت يده الممدودة : يعنى وبعدين يا مدحت هتفضل لامتى مسيب ركبى مفيش مرة تدخل عليا بهداوة

ـ خلاص يا ابونا اديك هترتاح منى

ـ صحيح يا مدحت يا ابنى ولا بتضحك عليا

، مد لى السكين مرة غير السابقة : موتنى يا ابونا انا جبت العار واتفضحت وسط الناس انا اتبست يا ابونا وفى وسط الشارع وقدام الكل

ـ وعشان بوسة تموت نفسك يا مدحت

ـ ما هو انت قاعد هنا فى الضلة ما شفتش البوس كان شكله ايه انا اكيد حبلت يا ابونا

، وانطلق فى بكاء حقيقى حاد وهو يهتف بى من وسط دموعه المتدفقة : ادبحنى يا ابونا قطعنى قبل ما بطنى تكبر وريحتى تفوح

ـ يا ابنى ده انت راجل مش ست وبعدين الحبل عاوز حاجات تانية غير البوس

ـ متأكد يا ابونا ان الست بس هى اللى بتحبل ، يبقى هى اللى حبلت وكمان شوية تجيب لى عيل ابن وسخة يقوللى يا بابا

ـ متخفش مش هيحصل

ـ يعنى على ضمانتك انى مش حامل ، يعنى اعيش حياتى وانا مطمن

ـ يا ابنى ما تقلقنيش معاك ،ع اعموم كمان شهر واخدك لدكتور امراض نسا يكشف عليك انزل قدامى الله يخرب بيتك

، عند غرفتى قلت له : بص انا هادخل انام قد ساعة دلوقتى الساعة تمانية ، الساعة تسعة تصحينى ، قبل تسعة لأ ، فاهم ، لو حتى رئس الجمهورية اتكسف على دمه واستقال

، برضه ما تصحنيش ، فهمت يا مدحت

ـ طب يا ابونا ماشى يعنى انا مش هاصحيك الا لو رئيس الجمهورية ده استقال ،

عينى حاضر

ـ يبقى هانام مش هاصحى تانى يا مدحت ، يا ابنى بص انت لما تيجى تسعة صحينى

يعنى ما تصحنيش تمنية ونص ولا تسعة الا ربع فهمت ولا لسه

ـ ايوه يا ابونا انا معاك بس الساعة تسعة دى اعرفها ازاى يعنى

ـ شوف يا مدحت عد ستين دقيقة وصحينى خلاص

ـ ماشى انا هاقعد بره الاوضة اعد

ـ لأ يا مدحت انت تخش جوه وتقعد ورا الباب عشان اضمن انك ما توقعش قلبى فى

رجليا زى كل مرة

، تمددت على الاريكة بينما مدحت عند خلف الباب يعد : واحد اتنين ، عشرة ، عشرين ، اربعين ، تسعة وخمسين ، ستين ، ابونا اصحى يا ابونا الساعة تسعة

، أعتدلت اتأمله ، أننى أكره هذا الكائن : ما تعدش يا مدحت ، نام يا مدحت نام يا ابنى

ـ ده انت صحيح كسلى وخم نوم

.. صحوت على صوت ينادى من الخارج عرفت صاحبه ولكنى تصنعت النوم ولم أفتح لأ رى ماذا سيفعل مدحت حتى اتلكك له واطرده كفاية لحد هذا : يا ابونا يا مقدس ابرام

ـ رد مدحت : مين الى عاوز ابونا

ـ قول له صلى ع النبى وخش يمين يا اخ

ـ طب ما تصلى انت ع النبى وتخش يمين ولا شمال

ـ يا اخ قول لابونا صلى ع النبى وخش يمين بره

ـ وهو ابونا يخش يمين ليه
ـ يا جدع بلغه وهو هيفهم
ـ طب انا ممكن اقوله خش يمين دى لكن اقوله صلى ع النبى ازاى هيفتكرنى كفرت وبقيت مسلم ما تودنيش فى داهية يا استاذ
ـ يا اخى انا مش استاذ انا اخوك الشيخ صلى ع النبى وخش يمين
ـ يا عم الشيخ ما توقناش فى بعض ما حدش هنا بيصلى ع النبى ولا حد له نفس يخش يمين
ـ يا ابنى ما تتعبنيش معاك انا اسمى كده
ـ اسمك كده طب يعنى يا مولانا افرض ان فيه حد هيصلى ع النبى بس مش هيخش يمين او حد مش هيصلى ع النبى ولازمه يخش يمين يبقى ليه وقف الحال اللى فى اسمك ده
ـ ظروف يا اخ انت اسمك ايه
ـ مدحت مدحت بس لايمين ولا شمال سايب الناس تخش زى م هى عايزة كل واحد ادرى بمصلحته يا عم
ـ طب ممكن بقا تبلغ ابونا
ـ هى الساعة كام دلوقتى
ـ الساعة تمانية ونص
ـ مش هينفع ابلغه دلوقتى اتركن عندك لحد الساعة تسعة
ـ اشمعنى
ـ اشمعنى طب وهو اشمعنى يعنى داير تقول خشوا يمين خشوا يمين هو انت منادى عربيات
ـ افتح الباب يا ابن الكلب يا سافل
، الموضوع كبر وكان لابد من التدخل : بس بس يا مدحت اسكت خالص . فتحت الباب واحتضنت صديقى القديم لأحتوى غضبه يلعن مدحت وسنينه : اهلا اهلا اتفضل يا صلى تعالى
، نحانى وأمسك فى رقبة مدحت وزنقه فى الحائط : انت ياد يا ابن اوسخة مش عاجبك اسمى
، عضه مدحت فى كفه التى كانت تخنقه : يا عم انت غور يعنى هو عاجبك ومبسوط بيه جتك نيلة
، فرقت بينهما بصعوبة وأن كانت نالتنى ضربة شلوت من صلى ع النبى وكوع فى انفى من الواطى مدحت : امشى يا مدحت امشى هات لنا شاى ، اقعد يا صلى هدى اعصابك

، وقف مدحت يتنطط ع الباب : والمسيح لاحط لك عقربة فى الشاى خليك تشربه وتتقلب
ـ عيب بقا يا مدحت الراجل ضيف عندنا
ـ اخص عليك وعلى ضيوفك
ـ اوعى كده يا ابرام سيبنى عليه
، جرى مدحت وجلس صلى ع النبى فى قمة انفعاله تركته لما هدأ وقال: اسمع يا ابن الشرموطة انت أنا عاوز اعترف لك بحاجة واخلص واغورمن وش الواد مدحت ده هتسمعنى
ـ اتكلم يا ابن اللبوة ، اعترف ،سامعك
، كنت فى بيتى لا بيّ ولا علىّ ، نازعا ثياب الاستشياخ ، نازعا نفسى من المواعظ ، اخيرا أنا لست شيخا أنا أنسان فقط سأشاهد التلفزيون واسمع أغانى واتحزم وارقص لو احببت ، أنا من بعد العشا والى قبل الفجر حر وليس لأحد عندى شئ من سيكلمنى فى أمر يخص كونى شيخ سأضربه بالجزمة ، المهم يا ابرام يا صاحبى الباب عندى دق فتحته فوجدت أمامى امرأة وذلك كان واضحا فقط من بروز الاثداء من خلف الخمار الغبى الذى ترتديه وقالت أنها تريد منى استشارة دينية ، ادخلتها واخذت استشارتها وعند قيامها لتمضى كادت تتعثر فرفعت ثوبها قليلا فظهر كعبها وكان يعلوه سواد وتشققات ، أنه كعب يوقف الحال ويسد النفس المفتوحة ولكنى تهيجت بشدة وحصلت اثارة مباغتة ، ذهبت المرأة ولكن ما فعله بى كعبها لم يذهب دفعتنى صورته العالقة بذهنى الى الحمام ، خلعت ثيابى وامسكت بعضوى الذكرى ـ عارفه ـ وافرغته عصرته عصر ، ابرام لقد مارست العادة السرية يا ابونا ، شفت المصيبة
ـ ياد يا صلى وهى دى اول مرة تضرب فيها عشرة يعنى
ـ لأ طبعا
ـ امال أيه بقا زعلان ليه
ـ صعبانة عليا نفسى يا ابرام ده الكعب كان مصدى ،امال هاعمل ايه لو كانت زى القمر ولا شفت لى بز و لا ورك ابيض شوف لى علاج سايق عليك النبى
ـ بلاش حكاية النبى دى ما تعصبنيش
ـ طب شور عليا يا ابرام
ـ المجد لاسمه العظيم ، صدقنى انا ما لاقى اللى يشور عليا الظاهر باب النجار مخلع
ـ قوللى اروح فين من ربنا وم الناس
ـ شوف ياد يا صلى ع النبى ربنا مش هنعرف نروح منه فى حته والناس تغور هما اشترونا
، أتى مدحت ، أدخلته وأغلقت الباب ، صاح : ايه يا عم انت وهو انتوا هتنكونى ولا ايه

، قلت له اخرس واعتليت كرسى وقلت لهما وقد فاض بى وقررت التمرد وأعلان الانقلاب : الآن : بدءا من هذه اللحظة التى سجلت فى عرف التاريخ وتعريف الزمن بأنها العاشرة مساءا من يوم السبت ، ستكون انطلاقتنا ،سنبدأ من جديد ، سنحرق فى ذاكراتنا تفاصيل عموم الليالى التى عشناها من قبل أو بتعبير أدق أيها الصحاب عموم الليالى التى لم نعشها ، عموم الليالى التى سرقت منا حتى أنه لايجد أيا منا اذا بحث فى اعماقه عن شئ جميل أو ذكرى حلوة أو ساعة حظ أو حتى دقيقة حظ خرج بها من عموم لياليه السابقة .

الآن اعلنكم يا صلى ع النبى وخش يمين أو خش زى م انت عايز وأيها اللهو مدحت أننا سنحيا هذه الليلة بالطول والعرض ، سنعتبرها ليلة فاصلة بين عموم ما مضى من ليالى وما هو آت منها ، سنجرب وستكن للتجربة الكلمة الأخيرة وستحدد فى أى الطريقين سنكمل ، أى بعد أن تنتهى ليلتنا أما أن نعود كما كنا أو نمضى فى المشوار الذى سنبتديه الآن.

ـ طب لمواخذة يعنى يا ابونا لو جينا نرجع كما كنا ومالقناش مواصلات هنعمل ايه

ـ احليها يا مدحت واتمسى احنا لسه ما عملناش اى حاجة اخرس خاص لما اخلص كلامى

، يكفينا كل ما فات وأنا قسيس وانت شيخ لنغير ونبدل اتجاهتنا ، لنكن انفسنا ، لنكن بوجه واحد ولنخلع الريش من فوق روؤسنا ونمضى كما يمضى الجميع .

، سيذهب مدحت ليأتيناببنطلونين وقميصين وسنحلق اللحى والشوارب ونرمى بأغطية الرأس الى الزبالة وسأمشط شعرى اخيرا ثم نخرج للدنيا ، للهواء رجالا جدد اتفضل يا مدحت .

.. ذهب وعاد مدحت وبعد ساعة اصبحنا دون أى علاقة بالماضى الخانق

، خرجنا من الكنيسة الى الشارع صلى ع النبى وخش يمين على يسارى ومدحت على يمينى وعن طريق العقل واستخدام طرق الاستنباط العلمية وقرأة الكف والفنجان وفتح المندل يتضح من كل ذلك استنتاجا وتخمينا أننى كنت أسير فى الوسط تماما ، كنا لم نقرر بعد الى أى من أماكن الترفيه والنسيان سنذهب ، مدحت يصر على السينما ، بينما صلى ع النبى طلب أن ألقى بالحانات والمواخير واماكن العربدة والفسوق من قائمة الاماكن التى يمكن أن نرتادها ، وبالنسبة لى كانت كل الاماكن تصلح للترفيه عنى ، كل ما هو بعيد عن أماكن العبادة وخارج جدرانها ، كل مكان سأدخله بهيئتى الجديدة دون ملابس سوداء و دون وضع اعتبارات للحلال والحرام كل هذا سأرضى عنه ويصلح معى

، كنا نسير وكأننا لأول مرة نمشى فى شارع ، نتحسس أماكن اللحى المحلوقة ، الوقت يمر ولم نرسى على بر وأن كنت بدأ ت أميل لأقتراح مدحت ولكن أى الافلام ندخل .

، هناك على ناصية الشارع لمحت رجلا مهوش الشعر ، ملابسه ليست له ، لاأعلم لماذا طلبت من مدحت أن يذهب ويسأله عن أقرب سينما ، فرفض مدحت متعللا: لع يا عم وانا اروح لحد عنده يطلع واحد من اياهم يشق بطنى بمطواة ولا يشلفطلى وشى

، فقلت له متعجبا : وليه كل ده يا مدحت

ـ استعبط بقا ما انت عارف ان اعدائى كتير واللى فقعت مرارتهم كتير ، يطلع الباشمهندس ده واحد منهم هتنفعنى انت ، روح انت

، تركته وندم شديد يعذبنى لأنى أتيت به معنا ، طلبت من صلى ع النبى أن يذهب هو ، ذهب وأنا مع مدحت على بعد اربعين متر منهما اتلفت حولى اتفرج على الدنيا الى أن اعادتنى لهما ضجة صادرة عنهما ، صلى ع النبى يشوح غاضبا ويهدد الرجل الواقف بلا حراك ، تركت مدحت ورائى وتحركت اليهما ،اقتربت من صلى ع النبى الذى وقف واضعا يده فى وسطه كمن لم يحسم أمره والغضب يهزه

ـ الرجل الغريب يقف ساكنا ويردد دون توقف وبوضوح وبآلية : ٥٦،٥٦، ٥٦ ..

سألت صلى : فيه ايه، مالك

فأجبنى صارخا مشيرا الى الرجل : ابن الكلبة ده قاللى شايف العشرة صاغ اللى هناك دى قلت له ايوه شايفها قاللى هاتها

، فقاطعته وقد وجدت الأمر تافها : هى دى اللى مزعلاك يا صلى

، وانحنيت كى التقطها وكنت معطيا ظهرى للرجل الأخر حتى فوجئت ، لا ، بل صعقت مما حدث لى فقد اندب فى مؤخرتى الأصبع الأوسط الطويل للرجل المهوش الشعر ، فأعتدلت بسرعة البرق ، مأ خوذا ، مذهولا ، نظرت للرجل الذى اصبح يردد رقما جديدا هو ٥٧،٥٧،٥٧ ، التفت لصلى ع النبى فوجدته يضحك بعصبية ويفشل فى السيطرة على نفسه ويقول لى : مستعجل قوى يا اخويا طب استنانى لما اخلص كلامى

ـ يعنى أيه اموته ولا اعمل ايه

ـ مجد سيدك ده واد ابن ستين كلب عبيط

، اقبل علينا مدحت : ايه يا جدعان ما تخلصونا عايزين نمشى ، فين يا بتاع انت السيما القريبة

، فأجابه الرجل : شايف البريزة اللى هناك دى

ـ شايفها يا اخويا ، مالها

ـ هاتهـــــــــــــــــــــــــــــا

ـ وانت ما تجبهاش ليه ، اتكسحت

،قلت له : هاتها يا مدحت

، انحنى مدحت ، فتغير الرقم الذى كان يردده الى ٥٨ واعتدل مدحت كالسهم المرتـــــــــــــد : ايـــــــــــــه ده يـــــــــــــا ابونـــــــــــــا
ـ لا ابونا ولا امنا ، قعدت تقوللى ابونا ابونا لما الصيع بعبصونا يا مدحت
، انقض مدحت على الرجل ، منهالا عليه باللكمات والصفعات و الشلاليت ولكنه فلت من يد مدحت وأخذ يجرى وقبل أن نقرر ماذا نفعل ، فرملت خلفنا عربة وفى لمح البصر ارتفعنا واحدا بعد الأخر من فوق الأرض وألقى بنا داخل صندوق العربة والتى هى بوكس شرطة وأن من قام برفعنا من فوق الأرض كما لو كنا دون وزن وكومنا داخل الصندوق هو مخبر ضخم أغلق أمام أعيننا منافذ الضوء ومسالك الهواء وكان هو ايضا معنا عندما وضعونا فى تلك الغرفة المستديرة التى توحى لمن يراها أنه وسط دائرة وهى عارية الا من دكتين متقابلتين على الدكة الاولى كنت أنا و مدحت وعلى الأخرى صلى ع النبى وذلك المخبر اللطخ .
جميعنا صامتون ننظر لبعضنا ، نخاف المخبر والمخبر ما ينويه لنا غير واضح ، اعلم أن الأمر ليس بهين فلا قبل لنا بوقفة رجال مع هذا النطع المخبر ولا مدحت يمكن أن يعلن عداء ما لذلك المخبر وصلى ع النبى منذ أن آتانى فى الكنيسة وعيناه لا تقولان الحقيقة أن مجيئه لى بعد غياب طويل وما أعلنه من أسباب لم يقنعونى ولم يدخلوا دماغى ، لم اصدقه ولم استطع تكذيبه ولم اواجهه بما افكر فيه ، ربما لأنى اعلم اسبابه الحقيقية التى يخفيها ويحاول الهرب منها وأنه لا أنا ولا هو لنا قدرة على البوح بها أو الوقوف وجهى فى وجهه وكشف ما عندى والافصاح عما لديه ، أن ما نخفيه من ذلك النوع المستحيل اخراجه من الداخل دون حدوث خسائر فادحة لا صلاح لها وقد تصل الى ما ينتهى ما بيننا للأبد واخشى أن يحدث ذلك أمام ذلك الحيوان المخبر فلا أود أن أصاب بجرح مثل ذلك أمام امثاله ولا أظن أن صلى ع النبى عقله صغير الى هذا الحد ، ثم ماذا سيقول بعد كل ما ذهب من سنين ، أ ياتى بعد ١٥ سنة ليعاتبنى ويحاسبنى على ضياع حبيبته مع أنه لم يكن هناك أى مفر من حدوث ذلك وكان حتما أن يخسر أحدنا لا امكانية لتجنب هذا فلو لم تكن ضاعت منه حبيبته لكانت ضاعت منا ابنة عمى أى بنت من العائلة كانت ستقضى على جميع العائلة وتصمنا وصمة لا محو لها ولا بالدم ان اجتمعا هو وهى . لم يكن خيانة لصديق أو وقوف فى وجه عشق نادر ما فعلته لأ نهاء هذه العلاقة بين صلى ع النبى ومادلين ، أنه كان نوعا من الحفاظ على الحياة دون مبالغة اطلاقا فأ ن ارتباطها بمسلم وأن كان صديقى وتربى معى كان سيكون مو تا كاملا لنا أنا وكل العائلة وكل من يمت لنا بعلاقة كان سيلحقه موت ما ، أنها مسأ لة خطيرة جدا جدا وهى ليست مجرد رجل وامرأة بينهما عشق ولكنها مسألة دين ودين ، شريعة تصطدم بأخرى وفى رأي الخاص والذى اغضبه وقتها أن فى هذا الحادث بينه ومادلين تحدى لرغبة الرب، أن يسوع لو أراد لهما اللقاء ما كان جعلها مسيحية وجعله مسلم ، أن علامة الأذن التيسير وهنا لا تيسير على الاطلاق ، فضلا عن أن صلى ع النبى لو كان العكس هو

الحادث و تبدلت المواقع لفعل ما فعلت واكثر وماذا فعلت أنا سوى حفاظى على ما هو أهم وأغلى من الشرف ، لقد اسرعنا بتزويجها رغما عنها اعترف ولكن الطبيعى أن يكون الفرد كبش فداء للجميع لا أن يكون الجميع كبش فداء من أجل فرد انانى يريد أن يتجاوز الحدود ويكسر نواميس الرب .
، أن يكون هناك عشق بين مسيحية ومسلم هذا لا نستطيع وقفه ولكن أن يحدث زواج فسنكون ملائكة ممتازين أن تركناه يحدث ونحن وقوف نتفرج . والحقيقة لم يهمنى أو حتى يشغلنى غضب صلى ولا اقمت له وزن فما يمس الدين لا خاطر فيه لأحد وأنا متأكد أن هذا المخبر الذى يرمقنى بكراهية لو أننى مسست دينه ـ أن كان لديه ـ سيهب كاللبوة فى وجهى وهذا مخبر فهل على أنا الأنسان حرج أو لوم . ولكن ما ذبح صديقى صلى ع النبى ليس موقفى أنا منه ولكن ما سمعه من والدتى وهى تحاور مادلين امامى وتقول لها : اتعدلى يا بت وفوقى كده لحسن والمسيح الحى والعدرا احطك تحت رجلى واكتم نفسك لما تطلع روحك وتغورى فى ستين داهية
ـ يا مرات عمى افهمينى بس انا مش هاغير دينى احنا متفقين على كده
ـ يا روح امك فرحتينى يا بت وانتى مش عارفة يا اختى انها ما تفرقش فضلتى مسيحية
ولا اسلمتى بعد الشر ، بعد الشر هى هى المهم يا كلبة انك هتتجوزى مسلم يعنى
كافر ما بعترفش ان يسوع هو الرب ولابيصلى فى الكنيسة ولا داقق صليب ، سمعانى
ـ يا مرات عمى ده انتى اللى مربياه
ـ دى حاجة ودى حاجة يعنى ينفع عشان انا اللى مربياه اقوله اتنصرن
ـ يعنى ايه مفيش فايدة ، يرضيكى اتوز اى حد مش بحبه عشان هو بس مسيحى
واعيش باقى عمرى بافكر فى واحد وعايشة مع واحد تانى
ـ اسمعى اخر الكلام اى كلب من دينك احسنلك مليون مرة من واحد مسلم
ـ برضه كده يعنى عايزة تموتينى بالحيا
ـ ما هو يا تموتى انتى يا نموت احنا يا تحطى قلبك تحت رجلك يا بحط احنا وشنا فى القبر و كفاية لحد كده .
أن صلى ع النبى فى تلك السنين البعيدة كان أهون عليه أن يقع تحت يد كيد ذلك المخبر الذى يجاوره على أن يسمع ما قالته أمى التى كان يعتبرها أمه .
تحرك المخبر بجسده الواسع المديد من صلى ع النبى حتى كاد يطبق على انفاسه ، فقلت له محتدا : ما تحاسب يا اسطى انت . فنظر لى بنظرة بها غباوة شديدة وتهديد . فأكملت باحتقار وقرف : وسع الدنيا حر ما تبقاش قليل الذوق

، أجل أنا أسعى لجر قدمه الى أحتكاك ، أنها فرصة نحن ثلاثة وهو بفرده وأن كان يبدو أنه مجموعة فى بعض ، بضعة رجال ملتحمين يحتاج الى عدة قذائف لتفككه وتجعل هزيمته ممكنة ويحتاج الى تجميع كراهيتى القديمة ، المستمرة ، الممتدة عبر السنين والذاكرة لأحدث به أثرا ، جرح ، عاهة ، أى شئ يشفى غليلى منه وامثاله ، أريد ذلك منذ أمد طويل وبشدة تقلقنى وتزعجنى تماما كالشبكة لعنها الرب فى سماواته ، فأنا لم أنسى لزميله أبن المتناكة ما فعله معى قديما وكنت وقتها لم أسلك بعد طريق الدراسة التى اهلتنى لأكن قسيسا ، كنت ساعتها شاب عادى كغيرى اركب قطارا ما ، العربة مزدحمة ، استندت الى باب القطار أقرأ فى كتاب وكنت سأستمر هكذا الى أن اصل محطتى الا أن أعين من تتأملنى نجحت فى الوصول لما أرادته ، فحدث أن قلقلتنى وشدت حواسى مما يشغلها وجعلتها متفرغة ، مستعدة لما هو آت ، رفعت عينى التى حددت لها عين متأملتى المسار والهدف من فوق صفحة الكتاب فوقعت نظرتى بالظبط وبلا أى ابحراف فى قلب عيناها ، ارتبكت ، أديرت رقبتها بلا أرادة منها كرد فعل للخجل الممزوج بالفرحة لحدوث ما سعت اليه ، لم انسحب بعينى بل تركتها مصوبة لزاوية عينها التى ترتد مفصحة أكثر فأكثر عن بقية ما خفى من عيناها حتى اكتملت ، اصبحت كل عيناها فى كل عيناى ، طالت النظرة بيننا انفرجت شفتى عن بسمة لم تكن لتحسب على أنها يسمة اطلاقا فى ظروف أخرى ولولا أنها صادرة منى ولدىّ علما بها ما كنت لأحسبها بسمة ولكنها تصيدتها واعتبرتها أذنا بالقبول وفتحا للأبواب وتجاوزا للأسوارالتى قد تكون بيننا ، فابتسمت ابتسامة واسعة تشكرنى وكأنى قدمت لها خدمة جبارة ، وأرتفع صوت اننى الضاحك بسعادة ودل ظاهرها على تسرب شئ ما جميل بداخلها فاهتزت وسرت رعشة فى النهدين الكبيرين و قد يكونا ارتجا رغم حمالة الصدر التى تعتصرهما وتخلخلت قدميها نتيجة لنبضة كبرى حدثت بين فخذيها فاحدثت عندى انتصابا لا يخطىء فى التخمين فعضوى الذكرى كان فى تلك الفترة وقبل دراسة الاهوت بسنة واحدة من اذكى اعضائى واكثرها شفافية وتوغلا فى مدارج الفراسة وما دام قد تقدم منتصبا ، رافعا الرأس ، غير هياب ، أو آبه بذلك الجوع الجنسى البادى فى العيون المحيطة والتى قد تلحظه ، فذلك دليل قاطع ، حازم ، شديد الوضوح على صدقه واحساسه بما يجرى لدى من تواجهنى متأملة وأكد هذا أنها ما زالت تتداعى وتوشك على السقوط والانهيار ، فتحركت خطوة من مكانى لأمد لها يدى وأمسك بها قبل أن تهوى ارضا ، فما كدت أكمل خطوتى حتى ظهر أمامى شئ عالى ، عريض أخفى عن عينى مجموعة كاملة من البشر الذين كنت أراهم ، ضخم هو كلهم ضخام فى كل الازمنة ، حجبها عنى وحجبنى عنها وكاد أن يمتنع علىّ الهواء والضوء ايضا وسألنى بجاموسية صارخة : بطاقتك يا افندى

، دائما هذا السؤال الغبى الذى لا يحفظون غيره وكأن هذه البطاقات لم يخترعوها الا ليأت هؤلاء المخبرين البقر ليسأ لوا الناس عنها واعتقد أنه لو اختفت البطاقات لأختفى تبعا لها المخبرون من الوجود ، استمرت المحاورة والمناورة بيننا لوقت طال ، طال الى أن فقدت متأ ملتى ، فرغت من كس امه ، فلم أجدها ، رحلت وقد يكون رحيلها هذا أبدى وكما يملى علىّ قلبى فللأن ما زلت انتظر ظهورها مرة أخرى ، مرة واحدة يارب وتذهب أن أرادت ، مرة أسترد ما سلبته منى ، لأستكمل عقلى وقلبى اللذان يعتريهما نقص منذ اختفائها ، وكلما مر الوقت وانقضى زمن جديد من العمر تتوهج هى بداخلى ، لقد تسربت الى عظمى وتمكنت من الدم فسرت فيه ومعه تتجول فىّ ، لقد جرى أنها سكنتنى ، أنى الأن محتل ، أمرى ليس ملكى ، جميعى يعمل لصالحها وفى اتجاهها ، كلى وبلا استثناء ينحدف صوبها ، اصبحت رغم عموم الليالى التى انطوت منذ لقائنا ورغم تشوش ملامحها فى ذاكرتى اصبحت هى بوصلتى التى تحدد لى الطريق الذى علىّ اتباعه وتأمر فلا استطيع الا الطاعة ، أن حروف المعانى التى كانت مخطوطة فى نظراتها محت الجميع ، لم يستطع أحد هزيمتها أو اخراجها منى أو الحد حتى من توغلها الكاسح فى عمقى الذى اتضح أنه غير محصن .

فأين المهرب منها ، أننى فى كل خطوة اخطوها اتوقع رؤيتها ، فيحدث أن اعتدل فى مشيتى ، أشد قامتى ، اتهيأ وتنفتح مسامى لعلمى بها ودرايتى بأنها ستفتحنى وتضاجعنى وتجعلنى احبل منها وبها ، حتى فى جلستى اوقن من رؤيتها لى فأعدل عن الانجعاص وأتخذ سمة الشاب المحترم العاقل الذى ليس به ما يدعو أحد للنظر اليه بقرف أو أن يضطر الأخرون لأن يقولوا له : ما تقعد عدل يا خول افندى . وكذا عند تناولى الطعام لم أعد أُقر بجودته وحلاوته رغم وجوب ذلك والجحود هذا لأنها لم تأكل معى ، لم تشاركنى ذلك الطعام ، لذا لم يعد له طعم أو لون ، ولقد قدر لها الرب الذى يمدها بعونه الخاص جدا والا ما كانت قد بقيت بى كل تلك السنين ، قدرلها وارادها ان تكون بالنسبة لى كل الأناث ، حتى زوجتى لا طاقة لى بتحملها لولا أنى أُحل بها حبيبتى وعند ممارسة الجنس معها ـ زوجتى ـ لاتقم قائمة لمعلى راية الحرية ـ الأسم الحركى لعضوى الذكرى ـ الا عند تخيلها ـ حبيبتى ـ مكان من تتناوله منى ، أنها كلهن ، أنهن هى ، كلهن يخرجن من عبائتها ويتمسحن بها ليكن اناث ذوات وجود فى الدنيا . لذلك ما زلت وسأظل أكره بعمق كل مخبر كما اكره انور السادات وأمانى يحيى والشبكة يلعن ابوها ، ولن أنام قبل أن اصل لطريقة انتقم بها من كل مخبرون الدنيا فى شخصه هو الجالس بجوار صديقى صلى ع النبى الذى كنت اتمنى جدا أن اعرف بيقين ما يدور فى عقله الأن لأتأكد من صحة ما يبدو فى عينيه : الآن فقط علمت سر انقيادى وراء ابرام وخروجى على شخصيتى القديمة وتمردى عليها وصلتنى حكمة ذلك الجنون كلما مر الوقت وذلك المخبر المنتفخ لحما وغباء وكراهية لجميع من ليسوا ظباط يجاورنى ،أننى لم اطاوع ابرام لتأثيره علىّ فهذا التأثير لم

يعد له وجود منذ أن أجابنى على سؤالى الغبى القديم من حوالى ٢٠ سنة عن حقيقة ما يجرى فى الكنيسة فى ليلة رأس السنة وعندما تطفئ الانوار وهل هناك صحيح تبادل للقبلات بين النساء والرجال ، فأجابنى : انت لما بتروح الجامع ممكن تعمل فيه حاجة غلط ممكن تاخد بنت الجيران وتزنقها تحت المنبر وتبوسها

- طبعا مستحيل ده بيت ربنا

- كويس خالص الكنيسة عندنا بيت ربنا زى الجامع ولو حصل يا اخى ان فيه بو س

فمش زى م انت فاهم ده بيكون بوس اب وبنته او واحد ومراته وبيتمنوا لبعض سنة

جديدة حلوة مش بوس دعك وجنس طب حتى بعقلك كده فيه حد هيسيب مراته

ولا بنته ولا اخته تتباس من اى واحد يبوط فيها ولا اصلا فيه واحدة ترضى بأى

حد يبوسها مش فيه نفس ومزاج وقبول ده لو كان بيحصل زى م الاشاعات

بتقول كان المدابح محدش هيلاحق عليها ، شغل دماغك وبلاش عبط يا صلى ع

النبى.

- بس مفيش دخان من غير نار يا ابرام

- الدخان ده يا عم صلى اصله الناس اللى مخها تعبان وبتشوف افلام اجنبية والناس

فيها نازلين بوس فى بعض عمال على بطال فقالولك ما دول نصارى ودول نصارى

يبقى ولاد الكلب اللى عندنا بيعملوا كده برضه مع ان احنا وانتم اللى بيجرى علينا

واحد ولو كنا بنعمل ده يبقى انتم كمان بتعملوه ، ع العموم انا هاخدك معايا

الكنيسة العيد الجاى وابقى بوس يا اخوى وورينى .

واخذنى معه ولم أجد أى شئ له علاقة بالقبل الا تقبيل يد القساوسة وطلب منى ابرام هامسا : مش عايز تبوس وطى يا نمس بوس ايدين ابونا

منذ ذلك الحين الذى حزنت فيه جدا لأننى اعتقدت كثيرا فى هذا الأمر وظننت أن علاقتى بأبرام ستتيح لى فرصة ذهبية للدخول فى عالم القبلات الساخنة المجانية ، ولم يحدث أى دخول لأى عالم ولكن حدث خروج من دائرة اقتناعى واعتقادى فى ابرام . لذلك فأن الجارى حدوثه الأن لنا لا علاقة له بعلاقتى بأبرام ولكنه تدبير من الله لكى احصل على حقى اخيرا من اولئك السفاحين الحكوميين ، ان هذا المخبر القابع كالكلب جوارى لا يعلم أننى لن اتركه دون أن اقتص لأبى وأمى مما فعله اصحابه بهما ،ان هؤلاء الحمقى يعتقدون أن الناس تنسى ما يفعلونه بهم ، يتصورون أنهم لن يجدوا من يجرؤ على اخراج ملتهم وملة من ورائهم يوما ما ، هؤلاء لا يعقل أن يحسبهم الله علينا ارواح يمكن أن يحاسبنا عليهم ودليلى على أنهم ليس لهم دية عند الله ما فعلوه بأبى لما اقتحموا منزلنا كالثيران الهائجة ليلا فهم يخشون النهار وانتزعونا من اماكنا والقوا بنا فى عربتهم ذات الصندوق القبيح الشهير وفى الغرفة التى لم تكن تسع غيرى وأبى وأمى وظابط واثنين من صنف المخبرين قاموا بأستخدام كل الوسائل التى هى مثلهم قذرة مع أبى ليعترف بعلاقته بالأخوان المسلمين ولما فشلوا اعادوا ما فعلوه ليعترف بعلاقته بالشيوعيين وفشلوا ومن جديد حاولوا أن يجعلوه يعترف بأنه كان يسعى لقلب نظام الحكم وفشلوا وكان أبى يرفض الأعتراف لسبب بسيط أنه لا علاقة له اطلاقا بما يتحدثون عنه ولكن لما كان يعترض على تعذيبه واهانته أمام أبنه وزوجته ويتهمهم بأنهم يعلمون ان لا علاقة له بشئ وأنه عندما يخرج سيفضحهم ويخرب بيوتهم فقد اصابهم هذا بالجنون فهموا باغتصاب أمى نكاية فيه فأنكمشت أمى عند اقتراب المخبر منها لدرجة خيل لى أنى لم أعد أراها ، انها تلاشت ، أبى ما زال يصرخ شاتما يسب لهم الدين فبرقت عين الظابط وامر المخبر ان يستبدل أمى بأبى فرد عليه المخبر بحيوانية: وماله اهى كلها خروم يا باشا

، لم افهم وقتها أو لنقل اننى لم أكن أريد الفهم ، اتجه المخبر الى أبى وقلبه على وجهه وانتزع ملابسه وأبى يفلفص للافلات من القيود ، يحاول أن يعدل نفسه وأمى هناك غائبة عما حولها وأن كانت مفتوحة العينين وفهمت عندما التصق المخبر بظهر أبى وكان هذا أول حالة جماع اراها وكانت افظع ما رأيت ، أفظع ماذا ، ماذا تعنى أفظع هذه بالنسبة لما احسسته وما احسه كلما تذكرت ، أن اللغة الشرموطة عاجزة ، غير قادرة على إيجاد الفاظ ومفرادات مطابقة للاحاسيس وهذا عيب لا يغتفر ، كما أن ما فعل بأبى وأدى الى موته قهرا وكمدا وكذلك أمى لا يغتفر وما لحقنى بشهودى لما جرى كيف امحوه منى وان محوته فهل اعتبر بعد ذلك اولئك المخبرين والظباط القتلة بشرا يؤدون عملهم ويخدمون البيه الوطن أن هذا لا يرد عليه الا بشخرة قوية من القلب .

، ولكنه ابرام مرة أخرى يضيع علىّ فرصة نادرة ، الأولى عندما قضى على كل أمل واغلق كل سبيل يمكن أن نلتقى فيه أنا ومادلين الى الأبد ، المغفل لا يعلم أن حالات العشق هذه

هى التى تحفظ لهذا البلد التوازن والاستقرار ولولانا مادلين وأنا وامثالنا لأصبحنا مثل لبنان

ولأشتعلت الحروب الدينية ، لو انتبه الغبى لما وقف فى طريقنا واضاع علينا ما بقى من عمر.

والفرصة الثانية كانت منذ اقل من خمس دقائق بتدخله الاحمق وطلبه من المخبر أن يفسح لى لقد كنت على وشك التحرك للأطباق على رقبته ولم يكن سيفلته شئ من يدى ، : الآن علىّ بالصبر ليس طويلا فخير البر ما كان بدرى وما البر غير أن نطلع ميتين أم مخبر .

.. اراهن أى أحد أن هذا ما يقوله الواد صلى ع النبى لنفسه الآن ، أنه صديقى واعلمه جيدا ولكن لا عبقرية فى ذلك فهو كما قلت صديقى ولكن ماذا عن هذا المخبر . : آه يا ولاد المرة الكلبة ، لو أنهم يدعوكم لى ، لو أن الباشا الظابط أمرنى بالقيام بالواجب معكم ، لو كان الأمر بيدى لعلمتكم الأدب وأنسيتكم أساميكم ولكن حظكم عالى قوى ولا حظ الغوازى ولكن أين ستذهبون منى لن يطول الحال هكذا ، هذه الساعة أو التى تليها سأنال منكم ، فلا يعقل أن يأتى اليوم الذى اجلس فيه هكذا كالنعجة أم بربور ، لم يأتى بعد أوان أن يعطينى الزمن ظهره ويحكم بأن تكون يدى تعانى البطالة ، تكف عن لزق الأقفية ولطم الوجوه ، مازال أمامى الكثير قبل هذا الوقت ، جعل الله يومى قبله ، فلن احتمل أن أصبح مخبر على الرف ، ولا احتمل أن أرى ولا ابلغ عما رأيت ولن تطاوعنى نفسى على التوقف عن كتابة التقارير عن ولاد اللبوة الناس ، لما لمجرد أن هؤلاء الأفندية لم احييهم التحية التى تعرفهم من انا ينظرون الىّ بأستهزاء وكره وخاصة ذلك الجالس أمامى انه لايرفع نظره من علىّ يتأملنى وكأنه يكتب عنى تقرير ، يمكن مدسوس علىّ ليطمئن الباشا الظابط أنى اعمل بضمير وممكن اصلا يكون هو نفسه ظابط ، اكيد هو كذلك والا لما أمرنى الا أمد يدى عليهم وايضا لو لم يكن حكومة ما كانوا جرأو على النظر الىّ بهذه الطريقة التى بدأت تخيفنى ، لا صحصح يا رجب لا تقع فى الكمين لا تدعهم يوقوعوك فى شر اعمالك . لكن الباشوات الظباط ليسوا فى حاجة لهذه الحركات العبيطة ليتخلصوا منى فأذا كانوا يريدون ابعادى لأننى اعلم الكثير عما يفعلوه بحكم سلطتهم ، فهم مخطئون ، فأنا متورط اكثر منهم ، أنا الذى فى وجه المدفع والذى ابدو دائما فى الصورة ، اولاد الشرموطة الذين يأتون هنا لا يتذكرون كثيرا من يأمر بالتعذيب ولكنهم لاينسون ابدا من نفذ الأمر ، أى أننى بكل فخر شخص لا ينسى بالنسبة لخلق لا عد لهم . ولا يعقل أن أى باشا ممن خدمت معهم يحاول التخلص منى ، فأنا واصحابى المخبرون مفيدون جدا لهم ولا يمكنهم الاستغناء عنا ، فأن ابعدونا فمن سيوزع لهم المخدرات والاسلحة المظبوطة ويبيعها لحسابهم ، الا نحن صانعى ثرواتهم ، فمن غيرنا السبب فى ركوبهم السيارات الفخمة ، من غيرنا وراء النعيم الذى هم فيه ، لولا خدماتنا لظلوا موظفين حكومة شحاتين لا يملكون شئيا ، فهل كان أحدهم بمرتبه الحكومى وأن كان حتى باشا لواء يستطيع أن يعيش فى هذا العز ، أننا من اجلهم ندخل فى صراع مع تجار المخدرات ونخالف ضمائرنا الحية ونلفق لهم القضايا لنزيحهم من سكتنا ، نعم أنه ينالنا من الحب جانب ولكنه بسيط ليس كالجانب الذى ينالهم ، اى ان ما بيننا وبينهم من هم فوق أكبر وأهم من أن يخافوا منا فقد قمنا بدفن الميت مع بعض. وهؤلاء الافندية لن يفسدوا ما بيننا ، وماذا لو تعديت أوامر الباشا الظابط وقمت الآن هبد ورزع فيهم حتى يظهر لهم صاحب .

آه يا نارى ، نفسى أمسكهم أكهربهم وأملأ وجوههم بصاق ، ارفع هذا الذى يجاورنى الى اعلى وانفضه ارضا واكرر هذا حتى يصبح رخوا مخليا دون عظام ، كما فعلت مع ذلك الكلب الذى تجرأ ذات مرة وصفعنى وسب لى الدين وبصق فى وجهى وكان غير خائف منى ولا من الباشا الظابط وهذا ما جعلنى اجن وافعل به ما فعلت حتى قطع النفس ومات والحمد لله أن هذا النوع لا يوجد منه كثيرون ، ففى كل السنين التى قضيتها فى خدمة الوطن لم اصادف منه الا اثنين او ثلاثة والا كنت قد استقلت وجلست فى بيتنا اغسل مواعين ، فلو أن امثاله كثيرون فهذا معناه أن الرجال الحقيقيون انتشروا وملئوا البلد وشغلتنا هذه تنتهى ويقف سوقها لو حدث ذلك لا قدر الله ، فنحن نوجد ونقوى ونتوحش ولا يقف فى وجهناأ عندما تكون الكثرة للرجال الخوالات . وهؤلاء أمامى لا تنبئ ملامحهم بوجود رجل حقيقى بينهم ، لكن من خلال خبرتى الطويلة احيانا ما تكون هذه الخبرة خادعة أنا متأكد من هذا والا ما كنت وقعت تلك الوقعة القوية وتزوجت من تلك المرأة التى اسقتنى الخراء مذابا فى كوب فلقد لفتت نظرى واوقعت بى بتعمد مدروس ومقصود وسلطت علىّ كل اسلحتها ، ورغم استخدامى لوسئل مهنتى فى التحرى عن الناس ومعرفة ما خفى من احوالهم . رغم هذا فقد خدعت وعلمت هذا بعد أن اتبعبصت منها بزمن طويل ، تزوجتها بناء على تحرياتى و تحريات اصدقائى المخبرين وكنت فرحان جدا بهذا الزواج لأنى اخيرا سأنام مع أمرأة برضاها وبرغبتها وليس اغتصابا كما تعودت تنفيذا للأوامر واحيانا بدون اوامر مع زوجات المعتقلين أو أى امرأة قد تكون دافعة لهم للاقرار بما لديهم وقد يقرون دون حاجة لاغتصاب نسائهم ولكنا كنا نستخسر بما انهن أتين أن يعدن لبيوتهن دون أن نقوم معهم بواجب الضيافة فى وزارة الداخلية التى شعارها اكرام الضيف نيكه . وهو واجب ليس سهلا بالمرة ، مرهق ويتطلب منا جهدا كبيرا ليس للفعل نفسه ولكن للسيطرة على النساء ورغم ما كنا نقوم به من وسائل ضغط وارهاب فنادرا ما كانت احداهن تسلم نفسها ، كن يغلقن فروجهن وكأنها ابواب لها اقفال ومفاتيح .

، طالت اعترف فترة خداعى ونومى على أُذنى ، لقد دقت لى هذه المرأة العصافير وختمتنى على قفاى ، فما علمت أنها بنت المتناكة غاوية مخبرين الا متأخرا ، هم نقطة ضعفها ، لا تقوى على صد ايا منهم ، تنهار مقاومتها عندما يقف أمامها أى مخبر وأن كان مبتدأ أو على المعاش ، أن كان له قيمة أو معفن ، أن كان رجلا أو ينام بجوارها كأختها ، أن كان مخبر أمن دولة قد الدنيا أو مخبر مباحث تموين لاهنا ولا هناك ، فهى أمام أى صنف من اصناف المخبرين لا تملك الا أن تخلع ملابسها وتتمدد عل ظهرها مبعدة ما بين ساقيها على قدر ما تستطيع

فهى فى الحاجات دى جدعة جدا ، وتدعو ابن الوسخة المخبر الزميل الى أن يكتب تقريرا عن كسها بعد أن يتحرى عنه بزبره . ولشدة غبائى وغفلتى لم انتبه الا بعد أن ناكها - زوجتى - كل اصدقائى المخبرين وكل اعدائى المخبرين وكل من فكر أو يفكر أن يكون مخبرا وحتى كل من فكر وتراجع عن أن يكون مخبرا ، كل اولئك ركبوها وأنا جالسا فى الطراوة ، اصدق ما تقوله لى من أننى الرجل الوحيد فى حياتها ، وفهمت فيما بعد أنها ارادت أن تقول اننى الرجل الوحيد المغفل فى حياتها وأننى كنت خير معرص لخير لبوة .

، والأن لن اقع فى فخ الملامح مرة أخرى فقد يكون هؤلاء الخرعين ، ورائهم مصيبة كبيرة تحط فوق رأسى ولكن للصبر حدود يا جدعان ، لم اعد قادرا على تحملهم ، أنهم افسدوا اعصابى ، لكن حاضر ، حاضر ، انتظرونى عندما اتمكن منكم سأفعصكم ، سأتنطط عليكم بقدمى ، سأتبول واتبرز فى افواهكم يا علق انت وهو . الصبر طيب ، فرجه قريب ، افرجها يا رب ، أننى دائما اراعى ضميرى واعاملك انت يارب فى شغلى ، انت ترانى وأنا اجهد نفسى فى تلفيق القضايا واشقى فى بهدلة ولاد الصرمة الناس ، يارب اعمل فىّ جميل وارسل الفرج واجعل يدى تطلق فى هؤلاء الثلاثة ، حتى لا يخرجوا من تحت يدى دون اصابات او عاهات ، اكرمنى يارب فأقضى عليهم أو حتى هذا الافندى الذى يتحرش بى ويقول لى وسع شوية الدنيا حر ، يا فضيحتك يا رجب ، هل أتى اليوم الذى يبدأ افندى كهذا الشر معك ، هو الذى يسعى لجر رجلك ، أن شكله وشكلهم ايضا حتى ذلك النائم لا أثر فيه للخوف ، يا دى المصيبة أنهم لا يخافونى ، أن العار لحق بى ، لقد شلت الطين على رأسى ، لماذا هذا الذل يارب ، لقد جعلونى لعبتهم بعد أن كنت اجعل امثالهم لعبتى وخاصة فى المظاهرات التى تهب لتطالب بأشياء غريبة ، مظاهرات دون سلاح يفرض هذه المطالب ويظنون أنهم سيحصلون على شئ اكثر من البعبوص المفاجئ ، ويكون دورى عند تقدمهم نحو الاماكن التى غير مسموح بالاقتراب منها كقصر الرئاسة أن نتدخل نحن المخبرون ونندس بينهم ونحدث اعمال شغب وارهاب وعنف كأن نقلب اتوبيس أو كل ما من شأنه أن يتطلب تدخل جهات الأمن والقضاء على هذه الفوضى وقلة الأدب ، فهل يأتى هؤلاء الثلاثة ليقلبوا الحال .

، أن اكثر ما يغيظنى هو ذلك العجز الذى احسه عن التحرك والفعل ، الله يخرب بيت ابو الباشا الظابط هو من فعل بى ذلك ، هو من وضعنى هنا ولن استطيع حتى الانسحاب وتركهم ينحرقون ، والا اعتبرت مخالفا للتعليمات وهذه عواقبها سوداء ، اسود من هذه الليلة التى يبدوا أن ليس لها أخر ، فأين سأذهب من الباشا الظابط أن خالفت اوامره ، فى مرة سابقة وضع حذائه فى فمى ، هذه المرة ممكن يحط لى رجل كرسى فى طيزى . لكن برضه الصبر ممكن يكون جميل . لكنهم جعلونى لأول مرة فى حياتى اكره أن ينظر لى أحد باحتقار ، فهذا كان يسعدنى ويجعلنى مبسوطا لأننى انفذ وصية المرحوم ابويا : خليك غتيت مع الناس ووحش عشان تعرف تعيش ، لو عملت لى فيها الواد الطيب الحلو هيركبوك ويركبوا اللى خلفوك وانا وامك ياابنى مش ناقصين حد يركبنا ، ولما تكون تبت كده ومكروه ومحدش طايقك هتضمن ان محدش يطمع فيك ولا يعشم فيك ، اوعى يا رجب حد يقصدك فى خير وتروح معاه ما تمشيش يا ابنى الا فى المصايب ، استنطع على قد ما تقدر ، فاهمنى ، طب احلف عشان اموت وانا مطمن عليك ، اموت وانا عارف انى سايب راجل من اوسخ الرجال .

، كان فقرى جدا ابويا هذا ،و لم أكن احتاج أن احلف ، انا الحمد لله أبن حرام بطبعى وأبن متناكة بالفطرة ، الله يرحمه كان قلبه دليله وكان شفاف ومؤمن وكويس أنه اتقلب مات قبل ما يرانى فى هذه الأيام السوداء التى اصبحنا نحن المخبرين الحققيين مهددين فيها بسبب انتشار مهنتنا بين الناس وزيادة الاقبال عليها بصورة لم تحدث من قبل فهناك الآن فى البلد مخبرون دكاترة جامعة ومخبرون صحفيين ومخبرون مدرسين - ابتدائى واعدادى وثانوى وحتى الحضانة بها من يرسل تقارير امنية عن اطفالها وما يمارسون من انشطة بعضها مريب ويدعو الى الشك فى نواياهم ضد نظام اسم الله عليه الحكم - وهناك مخبرون شيوخ ومخبرون قساوسة ومخبرون عمال وفلاحين وفئات . لقد لمت المهنة يا ابويا ، لقد دخل الغرباء والأدهى اننا لا نستطيع وقف ما يجرى ، عاجزون ، كما أنا عاجز الآن عن اطلاق يدى فى هؤلاء الكلاب ، آه ، آه ، أن قلبى سيحترق غيظا ، سأنفلق الى نصفين أن لم اضع مدحت هذا بين اسنانى، أو الوى عنق الذى بجانبه ، أو اهرس هذا الجالس بجوارى وادفعه فى الحائط كما المسمار ، لو لم أحدث بهم مصيبة ، سيحدث لى أنا شئيا ، أن دمى فى هذه اللحظة فى أعلى دماغى ، كفى دون ارادة ترتفع وتنزل على فخذى محدثة ضجة ، أنهم ينظرون باستغراب وما جعل الكيل اوشك أن يطفح ،أن هذا الاستغراب فى نظراتهم لم يبدل نظرات الكراهية الموجهة لى عن عمد .

.. نظرت الى صلى ع النبى فوجدته ينظر الىّ ، فهمت ما عنده وفهم ما اريد قوله ، فطمئننى أنه ما زلنا نفهم عن بعض . اشار بغمزة الى مدحت النائم كما لو بيته ، فوجهت الى مدحت ضربة شديدة فى ساقه من أمام حتى يفهم أن الضربة جأته ممن يجلس امامه وتحديدا هذا الجلف المخبر ، هب مدحت مفزوعا ، ظل ثانية أو أكثر يحملق فى الفراغ ، غير منتبه ، نظر الىّ فقلت له : معلهش يا مدحت عمك المخبر ما كنش قصده ، رجله جت فى رجلك غصب عنه .

، حول نظره الى المخبر وهو بعد لم يفق تماما : كان هيكسر رجلى وهو مش قاصد ، امال لو كان قاصد التور ابن التور ده كان موتنى بقا

، قال صلى ع النبى : خليها عندى انا دى ، ابقى فتح والنبى يا اعمى القلب والنظر انت

، فقال مدحت : والمسيح الحى لولا انى مش عايز ارجع للشر تانى لكنت مسحت بيه الارض دلوقتى ، ايوه انا لا يهمنى مخبر ولا خرا

فهم المخبر اخيرا ان الكلام يخصه ، فقال وهو يهتز اعتقد من الغضب : انتو عليا انا

فقلت انا لأهدأ النفوس : خلاص بقا مدحت هيعديهالك المرة دى ، بس بعد كده مش هاحوش عنك

قال المخبر وهو مصدوم اظن مما لم يتوقع سماعه يوما : هتحوش عنى الخرع ده

وضع مدحت ساقا على ساق: زى بعضه عشان خاطر المكان الطاهر ده مش هاكلمك المرة دى بس خد بالك المرة الجاية كس ام اى حد يعجبك ، هاطلع ميتين امك

ـ انا .

هب المخبر مندفعا نحو مدحت الذى تقدم بشجاعة تحسب له وابتدأ الطحن ، بدأ ما انتظرناه طويلا ، بدأت فرصتنا فى الانتقام .

... لا اذكر ولا أحد منا بما فينا المخبر يذكر ما جرى تحديدا كل ما نعرفه أننا لم نكف ولم يرجعنا شئ ولم يخلص اشتباكنا الدامى أحد ، الا عندما ارتمى كل منا فى جانب وكان عموم الألم اقوى من احتمالنا .

وعندما اكتشف من هم بالخارج ما حدث قاموا بمداوتنا دون أن ينقلونا من الغرفة فقد كانت الأوامر الا يخرج منها أحد حتى يأمر الظابط ولم يزعجنا معرفة أنه فى مهمة ولن يعود قبل شهر فنحن ملهيين فى ما لحقنا من جروح ومن الأفضل البقاء هنا حتى نسترد ملامحنا المعجونة فضلا عن أن الخارج ليس به شئ مهم . مع مضى الأيام اضطررنا الى تبادل الحديث مع المخبر وشئ مع شئ أخر نسينا ما فعلنا فى بعض ، تصادقت معه رغم كونه مخبر ولكن هذا التسامح العبيط من مساوئ أن تكون مسيحيا ، حتى أننى حكيت له عن الشبكة ، فقال ببساطة : وهى دى مشكلة يا ابونا دى حاجة بسيطة قوى وحلها فى ايدك

ـ ازاى يا رجب الحقنى

ـ ابدا انت تطلع فوق سطح الكنيسة ، تمام

ـ تمام

ـ وتاخد معاك مولانا الشيخ ، حلو

ـ حلو

ـ هيطلع مولانا يقف على حافة السور ويكون لابس اللبس بتاعك بتاع الكنيسة ، هيعمل انه انت يعنى ، ماشى

ـ ماشى

ـ وانت هتكون متدارى طبعا ، كويس

ـ كويس

ـ استنى لما الناس تتلم وييجوا بتوع الشبكة ، هيفردوها ،صح

ـ صح

ـ هتروح انت زايح مولانا يروح واقع ع الشبكة ، واخد بالك يا ابونا

ـ ايوه وبعدين

ـ تروح انت جارى بعيد شوية وتروح ناطط طبعا مش هتلاقى تحت منك شبكة ولا غيره تيجى انت واقع مزروع ف الارض ، ايه رأيك

ـ يا ابن الايه ، كانت تايهة عنى فين الفكرة دى

ـ دى فكرة عايزة واحد بتاع مؤامرات زى وانت غلبان

ـ يا سلام يا رجب انت يسوع بعتك ليا

واجتاحتنى رغبة شديدة فى الخروج من هذا الحبس .

ولما خرجنا ، توجهنا الى الكنيسة ، مودعا صديقى رجب ومعى مدحت وصلى ع النبى ، تركنا مدحت وصعدنا أنا وصلى ع النبى فمدحت لايعلم شيئا عن خطتى التى اقنعت بها صلى ع النبى بمنتهى الصعوبة .

اغلقت باب السطح جيدا وحاول صلى أن يثنينى عن قرارى وفشل طبعا أننى ما صدقت ووجدت هذا الحل ، ولكنه لما وجد الموضوع دخل فى الجد تحول خوفه علىّ الى خوف على نفسه : طب لو وقعت ومحطوش شبكة هاعمل ايه

ـ انت مش هتنط الا لو شفت الشبكة ، اوعى تنط قبل كده الله يخرب بيتك

وقف صلى ع النبى فوق سور السطح وافلحت الاتصالات التى اجريتها قبل صعودنا فى تجميع كل من اريد حضوره . وعندما اصبحت ظاهرا للجماهير الواقفة بأسفل حدثت جلبة شديدة فرحت قلبى ، ثم صمتوا تماما ولم يحدث ما توقعته ، فلا أحد طلب منى التراجع ولا أحد صرخ باكيا ولا شئ على الاطلاق ، أنهم يقفون بأسفل وكأنهم امام شاشة عرض سينمائى وينتظرون بدء الفيلم ، أدهشنى الأمر لدرجة أنى كنت سأنحى صلى ع النبى جانبا وانظر ما الأمر . هل اعتبرونى كلب وسيذهب لكلابه ، حنقت جدا واعترانى غيظ هائل ، دفعنى للأسراع بأزاحة صلى ولم يكن هناك من صوت الا لمدحت : بص شوف ابونا بيعمل ايه ، ايوه يا ابونا يا اوبهة ايه العظمة دى كلها ، تعالى يا ابونا وخش عليا انا مدحت حبيبك

فوجئ صلى ع النبى وخش يمين انه اصبح يطير فى الفضاء ، زعق وهو يهوى ، بينما جريت أنا حوالى عشرين متر واعتليت حافة السور بحركة واحدة ، سريعة جدا وقفزت دون أى تردد ولفت نظرى وأنا اهوى والأرض تسحبنى بقوة وسرعة عجيبة ، ممتعة أليها ، لمحت ليس العيون المتفاجئة بى وبحيلتى العبقرية التى هزمت بها الشبكة وهزمتهم هم ايضا ، ولكنى لمحت أن هناك جزء

من شبكة يتضح شيئا فشئ حتى أكتملت أسفلى أنا تماما وكلما اقترب واتلفت الى الناس اتأكد أن نبأ خطتى قد تسرب وعلم به الكلاب ولأول مرة ولأخر مرة ، اكتسحنى احساس عارم ، طاغى ، كامل شامل لكل حواسى بالعار ، علمت ماذا يعنى العار عندما اصطدمت بالشبكة واستويت ممددا عليها كأى متناك ، لقد انتهيت بطريقة أخرى غير ماكنت اسعى ، لقد قتلت بأبشع طرق القتل ، بنفس الوسيلة التى استعملوها مع مخلصنا يسوع ، لقد جرى أن هناك خيانة : عملتها يا رجب .

عموم الليالى التى.. نوفمبر1999

محمد ربيع .

الطبعة الأولى مصر ٢٠٠٠

لوحة الغلاف للفنان سامى محمد

